

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة المسيلة

كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: تاريخ

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل:

العمرة الدينية في تلمسان الزيانية

القرن 6هـ - 9هـ / 12م - 15م

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر في التاريخ
تخصص تاريخ الغرب الاسلامي

إشراف الدكتور:
بوقزولة عبد المالك

من إعداد الطالبة:
منيرة لقرادة

السنة الجامعية: 1441هـ/1442هـ
2019م/2020م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى "لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ"¹

بداية اشكر الله تعالى الذي أنار لي درب العلم والمعرفة

ثم بعد.

اتقدم بجزيل الشكر والامتنان والعرفان لأستاذي بوقزولة عبد الملك على تكرمه وتفضله بالإشراف على هذه الرسالة ولما أبداه من سعة صدر وحسن توجيهه وإرشاده عن انجاز هذا العمل. واتقدم بالشكر الى كل الذين وضعوا بصمتهم على هذا العمل.

¹ سورة إبراهيم، الآية 7.

قائمة المختصرات:

الجزء	ج:
الطبعة	ط:
ميلادي	م:
هجري	ه:
توفي	ت:
دون تاريخ	د ت:
دون طبعة	د م:
دون مكان	د م:

مقدمة

مقدمة:

شهدت مدينة تلمسان الزيانية بالمغرب الأوسط تطورا حضاريا، جعلها مدينة تنافس المدن الغربية فازدهرت الحضارة في جميع مجالاتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمرانية. ولقد عرفت مدينة تلمسان تطورا كبيرا خاصة في الجانب العمراني، الديني الذي كان له اهتمام كبير، ونظرا لتعدد العصور الإسلامية وتميز كل عصر بخصائصه المعمارية. ولقد ارتأيت عنوان مذكرتي: " العمارة الدينية في تلمسان الزيانية (6هـ/9هـ) (12م/15م)، حيث أنه تعتبر هذه الفترة من الفترات المهمة بدولة تلمسان الزيانية.

إشكالية الموضوع:

كيف كان تطور العمارة الدينية في تلمسان الزيانية خلال القرن (6هـ/9هـ) (12م/15م)؟
وأندرج تحت الإشكالية الأساسية إشكاليات جزئية تمثلت في مايلي:

- ماهي مراحل تطور الدولة الزيانية؟
- كيف تطورت العمارة الدينية بتلمسان؟
- ما هي أهم العماثر الدينية بتلمسان؟

أهمية دراسة الموضوع:

جاء اختيارنا لهذا الموضوع ابتداء من رغبتنا الشخصية في دراسة للمواضيع المتعلقة بالعمارة الدينية على وجه الخصوص.

إن أهمية دراسة هذا الموضوع هو المساهمة في إحياء تراثنا المجيد، كذلك المساهمة في إعادة إحياء هذا النمط من العمارة.

وما دفعني إلى تناول هذا الموضوع أيضا أهمية تاريخية خاصة الجانب الحضاري الذي خلفته هذه الدولة.

منهج الدراسة:

اتبعت أثناء عملية البحث على مجموعة من المناهج منها المنهج التاريخي والذي يقوم على استقصاء المعلومات من المصادر والمراجع، ثم العمل على تحريرها والمفارقة ما بين نصوصها مع نقدها.

كذلك اتبعت المنهج الوصفي الذي يصف لنا الأحداث في عصر الدولة الزيانية، بالإضافة إلى التحليلي الذي يمكننا من فهم وإدراك نصوص المؤرخين وآراء الدارسين.

خطة البحث:

وبناء على ما توفرت لنا من معلومات مستقاة من المصادر والمراجع ودراسات أكاديمية، قد بنينا خطة بحث واتبعنا فيها العمارة الدينية في تلمسان الزيانية خلال القرنين (9/هـ) (12م/15م).

وقد قسمنا البحث إلى: مقدمة وثلاث فصول وخاتمة.

- أما المقدمة، فتضمنت تحت عنوان " البحث مع تحديد الإطار الزمني والمكاني له ثم أهمية البحث وإشكاليته ودوافع اختيار البحث، بالإضافة إلى المنهج المتبع والبنود العريضة للموضوع، وعرض وتحليل مختصر لأهم المصادر والمراجع المعتمدة في البحث، وفي الأخير الصعوبات التي واجهتنا.
- جاء الفصل التمهيدي تحت عنوان " الإطار الجغرافي والتاريخي للدولة الزيانية، بدأناه بالحديث عن التقسيم الجغرافي لمدينة تلمسان والمعالم التاريخية لها.

- ثم جاء في الفصل الأول تحت عنوان " مراحل تطور الدولة الزيانية " حيث عالجتنا فيه (فصل تمهيدي مهدنا فيه عن بنو عبد الواد " بنو زيان ") نشأة الدولة الزيانية ووقفنا
- من خلالها إلى التوسع مدينة تلمسان الزيانية، كما بنين حديثنا مراحل النهضة وتطور مدينة تلمسان الزيانية.
- أما الفصل الثاني: تحت عنوان " تطور العمارة الدينية في تلمسان " حيث اخترنا أن نعالج فيه: تعريف المساجد في العصر الزياني، ثم تطرقنا إلى أهم المساجد التي بنيت في الدولة الزيانية، كالمسجد الأعظم أو الكبير ومسجد سيدي أبي الحسن بالإضافة إلى مسجد أولاد الإمام.
- وفي الأخير ختمنا هذه الدراسة بخاتمة حاولنا أن نلخص فيها مراحل تطور العمارة الدينية بتلمسان ببلاد المغرب الأوسط، كما ضمنا بمجموعة من النتائج والخلاصات.

عرض المصادر والمراجع:

اقتضت طبيعة الموضوع الاعتماد على أنواع متنوعة من المصادر والمراجع القديمة والوسطية، منها كتب الجغرافيا والرحالة، والموسوعات التاريخية، وكتب التراجم والطبقات ولقد إرتأينا أن نصنفها على النحو التالي:

- كتب تاريخ العام:

1. بغية الرواد في ذكر الملوك من بين عبد الواد: لأبي زكرياء يحي ابن خلدون (780 هـ / 1378 م) في جزأين، وتكمن أهمية هذا الكتاب في مادته التاريخية المتعلقة بتاريخ الدولة الزيانية حيث تولى يحي ابن خلدون منصب كاتب السر لدى السلطان أبي حمو موسى الثاني.
2. كذلك كتاب: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لصاحبه عبد الرحمان ابن خلدون ت (808هـ/1405 م)، حيث يعتبر هذا الكتاب من المصادر المهمة المؤرخة لبلاد المغرب خاصة الجزء الأول والسابع، فهو

يتناول تاريخ بلاد المغرب ويسرد لنا الأخبار والحقائق بالترتيب، ولد آثار لنا هذا المجلد خاصة في الفصل التمهيدي والفصل الثاني، كما أن كتابه الأخير وهو " المقدمة ". ويعتبر مؤلفا هاما حيث استعنا به في ذلك بما يتعلق بموضوعنا في التعريف ببعض المصطلحات والأعلام.

- كتب الرحالة والجغرافيا:

1. كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب لأبي عبد الله البكري (ت 487 هـ/1094 م) وهو من الكتب المهمة لكون صاحبه عاصر قيام الدولة الزيانية وعن حركة يوسف بن تاشفين واستقدت منه في الفصل الثاني والثالث، بالإضافة إلى كتاب " روض المعطار في خبر الأقطار " لأبي عبد الخ محمد بن عبد المنعم الحميري (ت 727هـ/1327م) حيث مدنا بالإطار التاريخي والجغرافي لمدينة تلمسان الزيانية، وهو ذو معلومات تاريخية في الفترة الزيانية. إلى جانب بعض المراجع من بينها:

- يحي بوعزيز في كتابه " تلمسان عاصمة المغرب الأوسط بالإضافة إلى: عبد الحميد حاجبيات لكتابه " أبو حمو موس الزياني حياته وآثاره الذي بين لنا مرحلة التطور والنهضة في تلمسان الزيانية.

- إلى جانب هذه المراجع استفدنا كذلك بمجموعة من الدراسات الأكاديمية من مجلات ورسائل جامعية، يمكن الرجوع إليها في قائمة المصادر والمراجع.

صعوبات الدراسة:

- كثرة الشخصيات الواردة في متن الدراسة، الأمر الذي صعب علينا إيجاد التعاريف لها جميعا.

- طبيعة الموضوع المعماري كون البحث يتعلق بالعمران الديني.

وفي الأخير لا ننسى أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل سواء من قريب أو بعيد، وبخصوص الذكر الأستاذ المشرف " الدكتور بوقزولة عبد المالك " على صبره معي، وعلى كل توجيهاته وإرشاداته، ونشكر الله المستعان، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفصل التمهيدي

الفصل التمهيدي

1- الإطار الجغرافي والتاريخي

2- أقسام تلمسان وارتباطها بالموقع الجغرافي

1- الاطار التاريخي و الجغرافي:

اتفق الجغرافيون و المؤرخون المسلمون¹ على ان مدينة تلمسان تقع في الاقليم الثالث ، أما الجغرافيون المحدثون حددوا موقعها عند خط طول درجة واحدة و ثلاثين دقيقة غرب غرينيتش²، و خط عرض اربع و ثلاثين درجة و ثلاث و خمسين دقيقة شمال خط الاستواء³.

تقوم مدينة تلمسان على السفح الشمالي لجبل الصخرتين⁴، و هذا الجبل هو الطرف الشرقي لسلسلة جبال الريف التي تسير بموازية السهل الساحلي من المغرب الاقصى حتى نصل الى المنطقة الضيقة قرب تلمسان ، حيث اعتبرت هذه المنطقة الحد الفاصل بين المغرب الاوسط و المغرب الاقصى⁵، مما جعلها همزة وصل بين المعبر البري داخل و خارج المنطقة.

¹ الإدريسي ابو عبدالله محمد بن محمد: نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ج1، عالم الكتب، بيروت، ط1، ص215. 250.

² غرينتش: مدينة في الانجليز ، اتخذها الجغرافيون اساسا لتقديم خطوط الطول (مسعود خوند: الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج5، ص452)

³ الفرديل : دائرة المعارف الإسلامية، ج5، القاهرة، 1933، ص452.

⁴ -الحميري محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري:الروض المعطار في خبر الاقطار، مكتبة

لبنان، بيروت، ب، ط، 1975، ص135

⁵ الادريسي ابو عبدالله: خ، 1، المصدر السابق، ص250

تحيط الجبال بالمدينة من الغرب و الجنوب ،اذ كانت هذه الجبال مانعا طبيعيا للمدينة ، و هي من الصخور المسامية¹ ، و التي تتمكن من تخزين المياه و اخراجها على شكل انهار و ينابيع .

- يبلغ ارتفاع تلمسان على سطح البحر حوالي 2600 قدم ، الى ما يقارب 900 متر²، و يمكن من ذلك الارتفاع مشاهدة البحر الذي يبعد عن المدينة اربعين ميلا باتجاه الشمال³، و هي بهذا الموقع تشرف على سهل واسع يمتد من الناحية الشمالية الشرقية للمدينة. ذكر الحميري في الروض المعطار السهل انه بمسافة خمسة و عشرين ميلا⁴، و كان يطلق على هذا السهل لقب فحص⁵، و انتاجه وفير لكثرة المياه التي تجري فيه.

- لقد تعددت المصادر التي وصفت تلمسان فقد وصفها البكري في المغرب (زار المدينة في القرن الرابع الهجري. العاشر ميلادي) قائلا ” و هي مدينة مسورة في سفح جبل شجرة الجوز ، و لها خمسة أبواب، ثلاثة منها في القبلة : باب الحمام و باب وهب و باب الخوخة ، و في الشرق باب العقبة ، و في المغرب باب ابي فره ، و فيها الأول آثار قديمة ، وبها بقية من النصارى الى وقتنا هذا ، و لهم بها كنيسة معمورة . وهذه المدينة (تلمسان) قاعدة المغرب الاوسط ، و لها أسواق و مساجد ، و هي دار مملكة زناتة و موسوط قبائل البربر و مقصد التجار ”⁶.

- وصفها الإدريسي في نزهة المشتاق (زار المدينة في القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي) قائلا ” و تلمسان مدينة ازلية و لها سور حصين متقن الوثاق و هي

¹ الفرديل: المرجع السابق،ص151

²الفرديل: المرجع السابق ، ص452

³ الحميري محمد بن عبدالله بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار .مكتبة لبنان،ب،ط، بيروت .1975،ص135 .

⁴ نفسه، ص135

⁵ الفحص : هي الأرض التي تزرع .

⁶ نفسه، ص76

مدينتان في واحدة يفصل بينهما سور و لها نهر يأتيها من جبلها المسمى بالصخرتين ... ،
و ما جاورها من المزارع كلها مسقي ، و غلاتها كثيرة ، و فواكهها جمّة ، و خيراتها شاملة ،
و لحومها شحيمة و بالجملة انها حسنة برخص أسعارها و نفاق اشغالها و مرابح تجارتها ،
و لم يكن في بلاد المغرب بعد مدينة اغمات و فاس أكثر من أهلها أموالا و لا ارفه منهم
حالا¹ .

- وصفها صاحب الحل الموشية (زار المدينة في القرن الثامن الهجري، الرابع عشر
الميلادي) قائلاً ” تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ، و دار مملكة زناتة على قديم الزمان ”
، و وصفها لسان الدين بن الخطيب في كناسة الدكان (زار المدينة القرن الثامن الهجري ،
الرابع عشر الميلادي) قائلاً ” تلمسان و ما إدراك ما تلمسان ، قاعدة الملك ، و واسطة
السلك و قلادة النحر ، و حاضرة البر و البحر ، و أصبحت للغرب بابا و لركاب الحج
ركابا و سهام الامل هدفا ، و لدور العلماء و الصالحين صدفا ” .
وصفها يحيى بن خلدون في بغية الرواد - عاش في المدينة في القرن الثامن الهجري، الرابع
عشر الميلادي- بقوله " مدينة عريقة في التمدن، لدنة الهواء ، عذبة الماء ، كريمة المنبت
اقتعدت بسفح جبل ورنيد عروسا فوق منصة ، و الشماريخ مشرفة عليها اشراف التاج على
الجبين ، تطل على فحص للفلح "² .

- و وصفها المقري في نفح الطيب - عاش في القرن العاشر الهجري ، السادس عشر
الميلادي - فقال : " جمعت بين الصحراء و الريف ، و وضعت في مكان شريف ، كأنها
ملك على راسه تاجه... و مأوها برود صديد ، حجبتها أيدي القدرة عن الجنوب ، خزانة
للزرع "³ .

¹ الحميري: مصدر سابق، ص135.

² بن خلدون يحيى ابو زكريا: بغية الرواد ، ج 1 ، المكتبة الوطنية الجزائرية، ب، ط، 1980، ص85.

³ ابن خلدون: بغية الرواد، المصدر السابق . ج9، ص 341.

قسم المؤرخون الاوائل¹ المغرب الى ثلاثة مناطق إدارية و جغرافية هي : المغرب الادنى و المغرب الاقصى ، و لكل منطقة قاعدة ، فكانت تلمسان إحدى هذه القواعد .

اختلف المؤرخون المحدثون في تحديد اقاليم المغرب ، فقد ذكر بعضهم انها اربعة ، و هي : برقة و طرابلس ، افريقية و سميت المغرب الادنى ، و قاعدتها القيروان أيام الامويين و تونس ايام الحفصيين ، المغرب الاوسط يمتد من تاهرت الى وادي ملوية و جبال تازة غربا و قاعدتها تلمسان ، ثم جزائر بني مزغنة ، المغرب الاقصى و امتد من وادي ملوية شرقا الى البحر المحيط ، و قاعدته فاس ايام الادارسة و مراکش ايام المرابطين و الموحيدين² .

يرى الباحث ان المؤرخين المسلمين منذ القرن السابع الهجري ، تحدثوا عن المغرب على أساس المنطقة الواقعة ما بين طرابلس شرقا و البحر المحيط غربا ، مع تقسيم المنطقة الى ثلاثة أقسام و هي : المغرب الادنى و يعرف غالبا بإفريقية ، و يمتد من طرابلس شرقا الى بلاد الزاب³ و وادي الشلف غربا .

و المغرب الاوسط ، و يمتد من الحدود الغربية للمغرب الادنى الى وادي ملوية ، وقاعدته تلمسان . و المغرب الاقصى و يمتد من وادي ملوية شرقا الى بحر المحيط غربا ، و كانت القاعدة تتأرجح فيه بين فاس و مراکش تبعا للدولة . و قسم المغرب الاوسط الى قسمين : المغرب الاوسط الشرقي ، و قاعدته تاهرت ، و المغرب الأوسط الغربي و قاعدته تلمسان .⁴

¹ البكري ابو عبيد، ذكر أفريقيا والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ب، ط، ب، ت ، ص 76. عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، دار القلم، بيروت، ط 3، ص 59.

² ناضوري رشيد: تاريخ المغرب العربي الكبير ، ج2، دار النهضة العربية، بيروت ، ب، ط، 1981، ص 127-129.

³ بلاد الزاب : هي مناطق في بلاد الجريد في تونس ، فيها مدن مثل المسيلة ، طبنة ، بسكرة ، (الحميري : الروض المعطار.المصدر السابق . ص 128).

⁴ سعد زغلول :تاريخ المغرب العربي ، ج2، ص 304. دائرة المعارف الاسلامية ، ج5، ص 455.

- و وصف العمري في مسالك الابصار¹ المملكة الزيانية فقال : " و هي مملكة كبيرة و سلطنة جليلة ، قريب الثلثين من مملكة بر العدو ، و هي وسيعة المدى كثيرة الخيرات ، ذات حاضرة و بادية و بر و بحر".

حاول حسن الوزان -ليون الافريقي- في وصف افريقيا أن يحدد مساحة المملكة الزيانية²، فقال : "إنها تمتد من الشرق الى الغرب حوالي ثلاثمائة و ثمانين ميلا ، و تضيق كثيرا من الشمال و الجنوب أي بين البحر الابيض المتوسط و الصحراء لتصل في بعض الاحيان الى خمس و عشرين ميلا ، و القسم الجنوبي منها واقع في منطقة جافة أي على أطراف الصحراء ، و القسم الشمالي يطل على سهول واسعة".

ب. اقسام تلمسان و ارتباطها بالموقع الجغرافي :

لقد تعددت مسميات مدينة تلمسان عبر التاريخ و نذكر منها :

أجادير: عرف الموقع أيام الفينيقيين باسم أخادير ، ثم انتقل الى البربر باسم أجادير ، و تعني أجادير بلغة البربر الجرف او الهضبة ، هذا يتطبق على موقع المدينة الجغرافي الذي جاء على هضبة قليلة الانحدار ، تشرف على سهل من الشرق و الشمال³، و يعني أيضاً عند البربر الحصن او الأنبار الذي بداخله انواع الحبوب و الزرع الذي يلجأ إليه السكان وقت الحصار و الحرب⁴.

¹ الجيلالي عبد الرحمن : تاريخ الجزائر العام ، ج2، دارالثقافة ، بيروت، ط1980، 4، ص146.

² حسن الوزان: وصف افريقيا ، ترجمة محمد محي . ط2. ج1. دار الغرب الاسلامي. بيروت . 1982. ص260

³ الفرديل: المرجع السابق، ص452.

⁴ بشار لطيف: التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الامارة الزيانية في القرن السابع الي العاشر الهجريين ، ص17.

من جهة اخرى فسر اسم أجادير من ناحية دينية ، عندما ربط السكان في المنطقة اسم أجادير بقصة الخضر عليه السلام و الجدار الواردة في القران الكريم¹ [3] ، و قد رفض عبد الرحمن بن خلدون في العبر ، هذه الفكرة مستندا الى أمرين: أولهما : أن موسى عليه السلام لم يصل إلى تلك المنطقة .

ثانيهما : أن الناس يحاولون ربط مدينتهم بالأحداث الدينية لتفضيلها على غيرها. و أكد أن المدينة هي من انشاء بني يفرن و هي بذلك لم تصل إلى عهد الخضر عليه السلام.

أيد يحيى بن خلدون في بغية الرواد² و المقري في نفح الطيب³ ، الربط الديني بين اسم أجادير و قصة الخضر ، حتى أن يحيى بن خلدون اعتبر أن فرعون نادى السحرة من المدينة ، و أن النبي موسى عليه السلام نزل المدينة ، أما المقري فقد ذكرها بأنها وضعت في موضع شريف.

بومارية : أطلق الرومان هذا الاسم على موقع مدينة تلمسان ، و يقع المكان الى الجهة الجنوبية الشرقية لمدينة تلمسان الحالية⁴ . و تعني بومارية بلغة السكان المحليين مدينة الحدائق و البساتين ، أو المكان الذي تتركز فيه الأشجار و المياه⁵. كان يحمي بومارية واد على شكل خندق طبيعي شكله وادي متشكّنة الذي يجري في فصل الشتاء ، و هي بذلك تكون مثل الحصن⁶. أقام الرومان بومارية لتكون حصنا و مركا لهم

¹ سورة الإسراء ، آية 64 . رواية حفص.

² ابن خلدون عبد الرحمان: ج1.المصدر السابق .ص.91.

³ نفسه، ص.34.

⁴ الوزان حسن: ج1،المصدر السابق. ص.17. نقولا زيادة : افريقيات ، ص 167.

⁵ الفرديل: دائرة المعار الإسلامية ، ج5المرجع السابق ، ص.452. لطيفة : التجارة الخارجية ، ص.13.

⁶ مالتسان ها ينرشا فون: ثلاث سنوات في شمال غربي افريقيا ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ،ب،ط،1979 ص.53.

في المنطقة لحماية قوافلهم التجارية و تأمين السكن للحامية العسكرية التي تحرس الطرق في المنطقة ، و بعد ذلك بدأ السكان المحليون حول الحصن ، و أقيم بعدها سور ليحمي المساكن الجديدة ، و اتسع الحصن الى ان اصبح مدينة¹.

يرى الباحث أن موقع تلمسان ازداد اهمية أيام الرومان عنه في الفترات السابقة و يعود ذلك الى العوامل التالية :

أنه بعد احتلال الرومان للمنطقة كان هناك طريقان تجاريان يوصلان بين قرطاجنة و بين طبنة ، الطريق الاولى بمحاذاة الساحل على اسفل جبال التل ، و الثانية داخلية عبر الصحراء و تعرج على وارجلان ، ثم تلتقي الطريقان عند بورماية حيث يوجد الممر بين تلك المنطقة و بين المغرب الاقصى.

إن سكان المنطقة من البربر ، و كانت لهم ثورات ضد الرومان ، مما أجبر الرومان على إنشاء حصن أو معسكر في ذلك المكان لحماية الطرق و صد غارات السكان ، و تم اختيار الموقع المميز بالحماية الطبيعية من حيث السهول في الشمال لتوفير المراعي ، و جبال تقي المدينة في الجنوب و الشرق ، و ممر ضيق يوصل إلى المنطقة من الغرب ، مع وجود نهر ملوية و هو ليس ببعيد للتخفيف من غارات السكان عليهم².

بسبب الحروب بين الوندال و الرومان³ في المنطقة قبل الفتح الإسلامي بثلاثة قرون ، و قد ادى إلى هجر المزارعين للأرض ، و الاتجاه نحو المناطق المحصنة أو الصحراء⁴. و رافق ذلك وجود حصن بورماية في المنطقة فهاجر الناس إليه مما أدى إلى اتساعه . و قد

مالتسان ها ينرشا فون، المرجع السابق، ص53.

² عبد الرحمن الجبالي: تاريخ الجزائر العام، ج1، دار الثقافة، بيروت، ط4، 1980، ص104.

³ الرومان : دولة ظهرت في جنوب ايطاليا - نسبة الى روما - استطاعت مد نفوذها على سواحل المتوسط ، فقد سيطرت على المغرب خلال القرن الاول الميلادي ، واجه الرومان الدولة الساسانية في فارس ، و انقسمت الدولة الرومانية في القرن الرابع الميلادي الى قسم شرقي ة اخر غربي .(الكياي: موسوعة السياسة ، ج1، ص854

⁴ رشيد ناضوري : المغرب العربي الكبير العصور القديمة ، ج2، دار النهضة العربية، بيروت، ب، ط، 1981، ص27.

كانت بورماية ضمن مقاطعة نوميديا الرومانية numidia التي كانت تعج بثورات متعددة ضد الرومان¹ ، و قد ذكر اسمها في تاريخ الكنيسة و ذكر اسم أسقفها لونغينوس longinus وكان رقمه 43 في قائمة الأساقفة الذين حضروا مؤتمر الكنيسة الذي عقد السنة 484م في قرطاجنة².

تلمسان : فسر عبد الرحمن بن خلدون في العبر معنى تلمسان³ قائلاً: "انه يتكون من مقطعين ، الأول : تلم و معناه تجمع ، و الثاني : سان و معناه اثنان ، أي تجمع الاثنان و هما البر و البحر ". بينما كتب مؤرخون اخرون⁴ الاسم بصيغة تلمسن او تلمسين و فسروه على انه من مقطعين في لغة البربر ، و هما تلم و معناه تجمع ، و سن و معناه اثنان ، أي تجمع الاثنان و هما الصحراء و التل استنادا الى موقعها بين التل و الصحراء⁵. و قد اورد بعض المؤرخين اسماء (تلمسين و تلمسن) للمدينة ، و هي مأخوذة من الموقع الجغرافي .

هناك من أشار⁶ الى ان تلمسين هي جمع تلمسان ، و تلمسين تعني المكان الذي يستقر به الماء ، أو البئر أو النبع أو عين الماء ، و ذلك بسبب كثرة عيون الماء في المنطقة . لذلك كان موقع المدينة الجغرافي هو الأساس الذي منح تلمسان هذا الاسم ، فموقع المدينة بين السهول و البحر في الشمال و الصحراء في الجنوب و الهضاب و الجبال في الشرق و الغرب و وجود الأنهار و عيون الماء ، كل ذلك دفع البربر الى منح الاسم لهذا الموقع ،

¹ محمود شيت خطاب : قادة فتح المغرب العربي ، ج1، ص37.

² مالتسان: المرجع السابق، ص53.

³ عبد الرحمن بن خلدون : العبر ، ج7. المرجع السابق. ص76

⁴ ابن عبد الحكم أبو قاسم عبد الرحمن: فتوح مصر وأخبارها ، تحقيق محمد الحجيري، دار الفكر، بيروت ، ط1 ص 345.

⁵ يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، ج1، المصدر السابق. ص 85.

⁶ الملي مبارك محمد : تاريخ الجزائر القديم و الحديث ، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ب ط، ب ت، ص442.

و مع الفتح العربي الإسلامي لمنطقة تم تدوين الاسم في المصادر العربية الإسلامية كما كان يتداوله البربر¹.

أقسام تلمسان

اشار الجغرافيون الى أن تلمسان تكونت من قسمين² ، الأول أجادير و هو القسم القديم ، و تآكرارت و هو الحديث ، أسسه يوسف بن تاشفين سنة 473 هـ / 1080 م في العهد والي المدينة ابن يتغمر³ ، و قد أقام المرابطون حول المدينة بقسميها سوراً ، و اقاموا داخل السور مسجداً جامعاً و جمعوا القسمين معاً. أكد بعض المؤرخين⁴ أن تآكرارت هي من إنشاء المرابطين ، و تعني عندهم المحلة أو المعسكر بلسان البربر ، و ذكر محقق كتاب ابن أبي زرع الفاسي ، أن أجادير كانت الاحياء السفلى من تلمسان و تسكنها العامة، و أن تآكرارت⁵ كانت الاحياء العليا و تسكنها الحاشية و الجيوش و رجال الدولة .

و قد أكد محمد العبدري البلنسي - الذي زار المدينة سنة 688 هـ / 1290 م أن تلمسان تتكون من مدينتين هما : أجادير و موقعها شرق تآكرارت ، و قال : تلمسان مدينة كبيرة سهلية جميلة المنظر ، مقسومة باثنتين و بينهما سور⁶ و أكد ذلك الحميري في الروض المعطار فقال : " لها سور متقن الوثاقه و هي مدينتان في واحدة

¹ الفرديل: دائرة المعارف الإسلامية : ج5 ، نفس المرجع، ص452.

² الحميري: المصدر السابق، ص 125.

³ الادريسي : مصدر سابق ،ص225.

⁴ عبد الرحمن بن خلدون: العبر ، ج6 ، ص 186.

⁵ يحيى بن خلدون: مصدر سابق، ص90.

⁶ الفاسي علي بن زرع الفاسي : الأنيس المطرب ، دار النصور للطباعة ،الرباط، ب، ط، 1972، ص 188.

و قد هدمت تلمسان أيام حصار الموحدين لها و بالذات قسم أجادير ، إذا ضربت بالمنجنيق ، مما دعى الأمير عبد المؤمن بن علي لجلب الفعلة و البنائين لإعمار المدينة من جميع الجهات ، و أقام بها القصور و البنايات و اصبحت قاعدة للمغرب الأوسط بعد دمار تاهرت . و جاء اهتمام الموحدين بالمدينة و تحصينها حتى تقف أمام ثورة ابن الغانية و تقدمه في الغرب الأوسط ، فأقام موسى بن يوسف العسري سوراً حول المدينة سنة 566 هـ و زاد في تحصينه الحسن بن أبي الحفص بن المؤمن سنة 581 هـ / 1185 م.



الفصل الأول: مراحل تطور الدولة الزبانية

الفصل الأول : مراحل تطور الدولة الزيانية

تمهيد

المبحث الأول : النشأة

المبحث الثاني : التوسع

المبحث الثالث : التطور

تمهيد

أولاً : بنو عبد الواد (بنو زيان):

تعاقب على حكم المغرب العربي منذ الفتح الإسلامي مجموعة من الدول الإسلامية ، فتارة كانت تحت راية موحدة ، وأحياناً أخرى كان لكل دولة رايته الخاصة بها . فمن الدولة الرستمية التي تعد أول دولة إسلامية بالمغرب العربي إلى الدولة الإدريسية و الفاطمية ثم الحمادية والمرابطون وصولاً إلى الدولة الموحدية ، التي تعتبر أكبر دولة إسلامية وحدث المغرب العربي تحت سلطة واحدة مستقلة كل الإستقلال عن المشرق العربي ، لكنها ما لبثت أن انهارت لتحل محلها مجموعة من الدول على حكم المغرب العربي الحفصيون في تونس ، المارينيون في المغرب و الزيانيون في الجزائر

1 - أصلهم :

ينتمي بني عبد الواد إلى فرع من فروع الطبقة الثانية من قبيلة زناتة¹ ، البربرية وموطنها الأصلي المغرب. الأوسط² وفي ذلك يقول المؤرخ ابن خلدون عبد الرحمان (ت 808 هـ / 1406 م) "والأكثر منهم بالمغرب الأوسط. حتى أنه ينسب إليهم ويعرف بهم فيقال وطن زناتة ..."³

¹ زناتة: قبيلة مغربية تتكون من بطون عديدة متشعبة، ويذهب بعض المؤرخين إلى لهجتها أنها تنتمي إلى أصول سامية، تتواجد أكثر بطونها بالمغرب الأوسط. ينظر: ابن خلدون عبد الرحمان: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مراجعة سهيل زكار: دار الفكر للطباعة، بيروت، 2001، ج 7، ص 3

² يحي بوعزيز: تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 1985، ص 50

³ ابن خلدون: المصدر السابق. ص 149.

ضمت قبيلة بني عبد الواد عدة بطون اتحدت فيما بينها تحت اسم عبد الواد هذه البطون شملت كل من: أولو، ورهطف، نصوحة، تومرت، والقاسم وإلى هذه الأخيرة ينتمي بني عبد الواد، حيث اختلف المؤرخون في نسبهم إلى أجدادهم بني القاسم والذي يعود أصلهم إلى الأدارسة¹.

فالمؤرخ ابن خلدون (ت 808 هـ / 1406 م) يرفض نسبهم إلى الأدارسة قائلاً: "ويزعم بنو القاسم هؤلاء أنهم من أولاد القاسم بن إدريس وربما قالوا في هذا القاسم أنه ابن محمد بن إدريس، أو ابن محمد بن عبد الله أو ابن محمد بن القاسم وكلهم من أعقاب إدريس زعما لا مستندا له..."².

بينما يرجع المؤرخ يحيى ابن خلدون (ت 780 هـ / 1378 م) بني عبد الواد إلى أجدادهم من بني القاسم مي عودون في نسبهم وأصلهم إلى الأدارسة قائلاً: "بنو القاسم من ولد إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب"³.

ومن جهة أخرى أيد المؤرخ التنسي التلمساني (ت 899 هـ / 1493 م) رأي يحيى ابن خلدون في نسب بني عبد الواد إلى القاسم بن إدريس، حيث يشير إلى ذلك بقوله: "لما تغلب جيش المنصور بن أبي عامر على الحسن بن فننون بن محمد بن القاسم بن إدريس بن

¹ ابن خلدون يحيى أبي زكريا: مصدر سابق، ص 180

² المصدر نفسه، ج 7، ص 72.

³ نفسه، ج 1، ص 190.

إدريس آخر ملوك الأدارسة، افترق بنو أبيه غربا وشرقا وشمالا وجنوبا . فكان القاسم ممن أصرروا وانضاف إلى قبيلة بني عبد الواد...¹ .

بينما لم يتم يغمراسن² بن زيان مؤسس الدولة الزيانية بتأكيد نسبه إلى القاسم بن إدريس الهاشمي، حيث رد على ذلك عندما سئل بقوله: "إن كان هذا صحيحا فينفعنا عند الله، وأما الدنيا فإنما نلناها بسيوفنا".

وكان بنو عبد الواد من القبائل الرحل التي كانت تجوب صحراء المغرب الأوسط، وكانوا ينتجعون المراعي الخصبة، ويترددون على المناطق التي تقع ما بين فجيح ومديونة وجبل راشد، وفي عهد المرابطين انتقل بني عبد الواد إلى غرب المغرب الأوسط تحت ضغط الهلاليين³.

ولقد تمكنت قبيلة بين عبد الواد أن تظهر على مسرح الأحداث في المغرب الأوسط بعدما دخلوا في طاعة الموحدين، فقد استطاعوا بعد ذلك تأسيس دولة لهم عاصمتها تلمسان⁴. كان بني عبد الواد من أمراء القبائل الرحل التي تجوب صحراء المغرب الأوسط بحثا عن الكأ والمراعي والماء وكانوا يترددون ما بين فكيك ومديونة إلى جبل راشد ومصاب⁵، وفي عهد المرابطين انتقلوا إلى سواحل المغرب الأوسط وهي منطقة لم تتأثر بغزوات بني هلال⁶ وعندما قامت دولة الموحدين¹ في بلاد المغرب الإسلامي بقيادة عبد المؤمن بن علي²، كان بين عبد الواد من أشد المعارضين لهم، ف وقعت بينهم حروب مشهورة، ولما أدركوا قوة

¹ التنسي محمد بن عبد الله: تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدور والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق: محمود بو عياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 109

² يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد العبد الوادي ولد سنة 603 هـ 1206 أول من استقل بتلمسان ببيع يوم مقتل أخيه زيدان سنة 633 هـ 1235 م/ ينظر: ابن الأحمر: تاريخ الدولة الزيانية، تحقيق: هاني سلامة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2001، ص 59

³ عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية، موفم للنشر، الجزائر، 2002، ج1، ص14

⁴ خالد بلعربي: الدولة الزيانية في عهد يغمراسن دراسة تاريخية وحضارية الجزائر، 2011، ص65

⁵ ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص87

⁶ عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الإسلامي، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ج2، ص872

الموحدين، وضعوا أنفسهم في خدمة عامل الموحيدين بتلمسان، فأصبحوا من أخلص قبائل زناتة ولاء لهم، وكان من بين أعظم الخدمات التي قدمها بني عبد الواد مساهمتهم الفعالة في منع سقوط مدينة تلمسان³، في أيدي بني غاينة⁴ فنالوا شرف الخطوة وثقة الحكام الموحيدين، فمنحهم جزء إخلاصهم ضواحي المغرب الأوسط، من البطحاء شرقا إلى نهر ملوية غربا مكافأة لمساعدتهم في حروبهم ضد القبائل المعارضة، ومدوا نفوذهم على بلاد المغرب الأوسط، فضمن بذلك بني عبد الواد لأنفسهم الاستقرار في هذه السهول الغنية ولماشيتهم المراعي الشاسعة⁵، وصاروا قوة معتبرة في المنطقة فاتخذوهم الموحيدين أولياء وأنصارا لهم⁶، وفي سنة 627 هـ / 1230 م قام الحاكم المأمون الموحيدي بتثبيت جابر بن يوسف⁷ حاكما على إقليم تلمسان، وإقليم بني راشد⁸، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت تلمسان وإقليمها في يد بني عبد الواد وتحت سيطرتهم، وهي المرحلة الأولى من تأسيس الدولة العبد الوادية⁹.

¹ قامت دولة الموحيدين سنة 524 هـ / 1129 م اتخذت مراكش عاصمة لها. ينظر: الزركشي: تاريخ الدولتين الموحيديتين والحفصية، تحقيق: محمد. ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966، ص 7

² هو عبد المؤمن بن علي الكومي ت 559 هـ / 1163 م/ ولد بتاجرة، لازم ابن تومرت وأخذ منه علمه. انظر: الزركشي: المصدر نفسه ص 13

³ لخضر عبدلي: التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد، ط 1، دار ابن النديم للنشر، الجزائر، 2011، ص 41

⁴ بنو غاينة: ينتمون إلى قبيلة مسوفة الصنهاجية، امتلكوا جزر البليار شرق الأندلس واستقلوا بها. ينظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6 ص 508

⁵ يحيى ابن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص 198

⁶ نفسه. ص 199

⁷ جابر بن يوسف: هو جابر بن يوسف بن محمد بن زجد من بين عبد الواد واضع نواة الدولة العبدوادية. ينظر: يحيى ابن خلدون: المصدر نفسه ج 1، ص 105

⁸ بنو راشد: كانوا يسكنون الجبل الذي سمي باسمهم، وهو جبل بني راشد، وهم الذين بن قلعة بني راشد ويعدوا بني راشد من القبائل التي. ناصر بن عبد الواد. ينظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج 7، ص 72

⁹ يحيى ابن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص 200. والتتسي: المصدر السابق، ص 113

وبعد ذلك تطلع بني عبد الواد للسيطرة على كامل المغرب لأوسط خاصة بعدما لمسوا ضعف السلطة المركزية في مراكش، وتقلص نفوذ الموحدين، فسارعوا إلى إعلان استقلالهم بالمغرب الأوسط، واتخذوا من تلمسان عاصمة لهم¹.

¹ خالد بالعربي: المرجع السابق، ص 62 . وعبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج 1، ص

المبحث الأول: مرحلة النشأة

1- يغمراسن بن زيان و نشأة الدولة الزيانية

هو الملك ورجل الدولة السلطان أبو يحيى يغمراسن بن زيان¹، بايعه شيوخ زناتة وسكان تلمسان ملكاً عليهم سنة 633هـ، فأعلن استقلال المغرب الأوسط عن الدولة الموحدية متخذاً تلمسان عاصمة لمملكته.

عرف يغمراسن بشجاعته وتواضعه وذكائه، قال عنه ابن الخطيب أنه "أحد أحصل زمانه جراً وشهامة ودهاء وجزالة وحزماً، موافقه في الحروب شهيرة." حكم تلمسان مدة ثمانية وأربعين سنة، عمل خلالها على توطيد حكمه وتحضيره لأبنائه من بعده. بلغت تلمسان في عهده أوج مجدها وغاية عزها فكثر عمرانها وامتدت أرجاؤها وازداد عدد سكانها.

شيد يغمراسن قصر المشور العظيم واتخذه مقراً لملكه ولحاشيته، وأسكن به رؤساء القبائل والعشائر من باب التشریف، ولكنهم كانوا بمثابة الرهائن لديه حتى يضمن طاعة وولاء أتباعهم. ومن إنجازاته تشييد باب كشوط عام 668هـ في الواجهة الغربية من سور المدينة، وتحصين المدينة، وبناء مئذنة الجامع العتيق وهو جامع أقادير، ومئذنة الجامع الكبير وهو جامع تاقراوت بعد أن وحد مدينتي أقادير وتاقراوت في مدينة واحدة تمتد من باب العقبة

¹ يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد العبد الوادي ولد سنة 603 هـ 1206 أول من استقل بتلمسان ببيع يوم مقتل أخيه زيدان سنة 633 هـ. 1235 م / ينظر: ابن الأحمر: تاريخ الدولة الزيانية، تحقيق: هاني سلامة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2001، ص59

شرقاً إلى باب كشوط غرباً، ومن باب الجياد جنوباً إلى باب القرمدين شمالاً.

تعرض يغمراسن للعديد من المؤامرات الهادفة إلى قلب مملكته، ومنها تلك التي دبرها مرتزقة من النصارى خارج باب القرمدين سنة 662هـ، وكاد أن يكون ضحيتها، في حين قتل أخوه محمد أثناءها. وتعرضت تلمسان في عهده للغزو عدة مرات من طرف الحفصيين والموحدين والمرينيين على حد سواء. ففي عام 640هـ، غزا السلطان الحفصي أبا زكريا مدينة تلمسان وأرغم يغمراسن على الخروج منها للقائه، فهزمه واحتل المدينة ثم رجع إليها يغمراسن بعد أن تصالح مع الحفصيين مقابل دفع ضريبة سنوية مقدارها ألف دينار، وذكر اسمهم على المنابر في خطب الجمع والأعياد. وكان الزحف الموحي في سنة 646هـ عندما قصد الخليفة الموحي أبي الحسن السعيد، على رأس جيشه، مدينة تلمسان لاحتلالها والقضاء على الحلف الذي أبرمه يغمراسن مع سلطان تونس، وكان الانتصار حليف يغمراسن في معركة قلعة تامزديكت¹.

استولى جيش تلمسان على جميع أموال ومؤون وأسلحة الموحدين وعلى ذخائر نفيسة من بينها "المصحف العثماني" والعقد اليتيم المعروف "بالثعبان".

لم ينتظر المرينيون الذين ورثوا ملك الموحدين بالمغرب الأقصى، حتى تتنامى قوة يغمراسن ويعظم شأنه؛ فأسرع سلطانهم الأمير أبو بكر ابن عبد الحق المريني إلى قيادة الجيش المريني في واقعة نهر إيسلي قرب مدينة وجدة في أواخر عام 646هـ، فانهزم وولى

¹ يحي بوعزيز: تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 1985، ص 60.

أدباره وانسحب إلى المناطق الجنوبية وضواحي تلمسان وظل يغير على الجيوش المرينية إلى أن وافته المنية عام 681هـ¹.

المبحث الثاني: مرحلة التوسع والازدهار

وتمتد 707هـ-791هـ/1307م-1397م من وتبدأ هذه المرحلة بانتهاء الحصار المريني لمدينة تلمسان، وإحياء الدولة الزيانية وانبعاثها من جديد على يد أبي حمو موسى الأول 707هـ-718هـ/1307م-1318م.

استهل أبي حمو موسى الأول سياسته بالجنوح إلى مهادنة بني مرين فأبرم اتفاقية تتضمن الإخاء وحسن الجوار ليؤمن ظهره، اهتم بالبناء، والتشييد، وتطوير الجيش، وزاد في عدته وعدده، وأمن الطرق وحفر الخنادق².

تمكن أبي حمو موسى الأول أن يصل إلى الأقاليم الشرقية الواقعة غرب البلاد الإفريقية، وتخطى حدود الدولة الحفصية إلى أن حط بظاهر العناب، وجبل ثابت القريب من قسنطينة³ وقد وصفه المؤرخ ابن خلدون (ت 808 هـ / 406 م) بقوله: "كان صارما يقظاً ،

¹ لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج 1، تحقيق محمد بن أبي شنب، الجزائر: المطبعة الثعالبية، 1908.
² رشيد بورويبة وآخرون: الجزائر في التاريخ (العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

³ نفسه، ص 384.

حازماً ، داهية، قوي. الشكيمة، رتب مراسم الملك وهذب قواعده، وأرهف في ذلك لأهل ملكه¹ .

وفي عهد السلطان أبي تاشفين الأول، خامس ملوك الأسرة الزيانية، جلس على العرش سنة 718 هـ / 1318 م)، قام باغتيال والده أبي حمو موسى الأول لكي يستولي على الحكم² اتبع سياسة أسلافه حيث قام بإخضاع الأقاليم الشرقية وأمر بمحاصرة بجاية³ عشرية كاملة، وحاول غزو البلاد الإفريقية عدة مرات كانت الأولى سنة (721 هـ / 1321 م)، ثم انتقل إلى مدينة قسنطينة⁴ ولكنه لم يستطع إخضاعها لحصانتها، ثم عاد إلى وادي بجاية، وابتنى به حصن بكر⁵ وأنزل به الجنود والعتاد⁶.

¹ ابن خلدون: المصدر السابق، ج 7، ص 87.

² ابن الأحرر: المصدر السابق، ص 72 . والتتسي: المصدر السابق، ص 139.

³ بجاية: مدينة عتيقة تقع في منحدر جبل شاهق على ساحل البحر المتوسط يحيط بها أسوار عالية. ينظر: الوزان: المصدر السابق، ج 1. ص 50.

⁴ قسنطينة: مدينة قديمة بناها الرومان واقعة على جبل، محاطة جنوباً بصخور عالية. ينظر: الوزان: المصدر نفسه، ج 1، ص 55.

⁵ حصن بكر: هو حصن أقيم على مضيق وادي بجاية من طرف أبي تاشفين الأول سنة (721 هـ / 1321 م) أثناء محاصرته لبجاية. ينظر: عبد. العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج 1، ص 41.

⁶ رشيد بورويبة وآخرون: المرجع السابق، ج 3، ص 386.

المبحث الثالث: مرحلة النهضة والتطور

وتمتد من (759 هـ / 1350 م) إلى (791 هـ / 1389 م)، تميزت هذه المرحلة بإعادة إحياء الدولة الزيانية على يد السلطان أبي حمو موسى الثاني بمساعدة الدولة الحفصية، والقبائل العربية وال بربرية في المغرب الأدنى والمغرب الأوسط¹.

حيث اتسم عهده بالنشاط العسكري المكثف الذي دام أكثر من ثلاثين سنة، قضاها في البناء والتشييد وإدارة شؤون البلاد ومحاربة المناوئين، والتصدي للهجمات المتكررة لبني مرين ولبني حفص، للحفاظ على وحدة تراب المغرب الأوسط تحت راية السلطة الزيانية والدفاع عن حدودها المرسومة².

وبوفاة أبي حمو موسى الثاني، انتهى عصر هام من عصور الدولة الزيانية، وبدأت الأحوال تضطرب وانتشرت الفوضى في الناحية الشرقية، وجعلت بلاده تسير بخطى نحو الانحطاط والتدهور، ومما زاد في الطين بلة ما به أبنائه من منافسة على الحكم وتهافت على السلطة.³

¹ عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، ط 2، الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر، 1982، ص 82.

² نفسه. ص 84.

³ رشيد بورويبة وآخرون: المرجع السابق، ج 3، ص 422.

و أخيرا يمكننا القول أن الحالة السياسية و الاجتماعية للدولة الزيانية في أغلب فتراتها تميزت بالاضطراب . إذ كانت محاصرة بهجمات الدولة الحفصية من الشرق تارة ، و هجمات المرينيين من الغرب تارة أخرى ، و ربما كان الزيانيون هم المغيرون على هؤلاء و أولئك تارة ثالثة .

إضافة إلى ذلك الفتن الداخلية التي لا تكاد تنطفئ حتى تشتعل مرة أخرى لأسباب كثيرة منها التنافس على العرش الذي كان قائما على أشده بين أفراد الأسرة الحاكمة . و لكن بالرغم من ذلك كانت الحالة العلمية و الفكرية و العمرانية قد أخذت منحأ آخر ، إذ كانت نشطة جدا ، و قد ظهر في عهد الدولة الزيانية نخبة من العلماء الذين تركوا تراثا علميا و عمرانيا توارثته الأجيال ، و بقي تأثيره على الحركة العلمية في الجزائر و خارجها طيلة قرون .

و باختصار فالدولة الزيانية حافظت على كيانها ما يقارب ثلاث قرون فكانت بذلك ثالث دولة إسلامية عظمت في الجزائر¹ .

^{1 1} يحي بوعزيز: تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 1985 ، ص 73.

الفصل الثاني: تطور العمارة الدينية في تلسمان

الفصل الثاني: تطور العمارة الدينية في تلمسان

تمهيد

المبحث الاول: المساجد

المبحث الثاني : الزوايا والرباطات

المبحث الثالث: المدارس

تمهيد:

تطورت العمارة الدينية في تلمسان الزيانية ولهذا نجد العمارة الدينية تمثلت في المساجد والمدارس والزوايا.

المبحث الأول: المساجد

1.1. تعريف المساجد:

المسجد عبارة عن جامعة أو معهد، بالإضافة كونه مقر للعبادة تلقى فيه الدروس وتعد في حلقات البحث، وتنظم فيه المناظرات العلمية، والحوارات الفقهية، ويجتمع فيه الآباء لتدبير زواج بناتهم وأبنائهم، وتؤخذ إليه الجنازة قبل الدفن للصلاة عليها.¹

كذلك النصوص التاريخية تخبرنا، قد أحجمت من إعطائها جميع أسماء المساجد والتي بنيت في تلمسان وشيدت بضواحيها، لكنها لم تحدد لنا أماكنها تحديد دقيقا، لكن بعض الإحصاءات تكشف أن عددها كان يبلغ 60 مسجد² ما بين كبير ومتوسط الحجم وصغير، غير أن هذا الرقم لا يعبر عن الحقيقة لأن مدينة تلمسان في العهد الزياني، بلغ عدد سكانها نحو مائة وخمسة وعشرون ألف نسمة.³

2.1. أهم المساجد التي بنيت في الدولة الزيانية:

(أ) المسجد الأعظم أو الكبير:

شيد هذا المسجد يوسف بن تاشفين المرابط، أثناء بنائه لمدينة تاكوارت سنة (473هـ-1080م) وأعاد بناءه فيما يبدو انه على بن يوسف سنة 530-1135، وأدخل عليه المهندسون والمعماريون مسحة فنية أندلسية (أنظر ملحق 01 ص 66) حتى صار تحفة معمارية رائعة ولا شك أن الذين أشرفوا على بنائه قد انتقاهم على يوسف من بلاد الأندلس، وتدل على إعادة بنائه في عهد هذا الأخير الكتابة الموجودة على المحراب⁴ " بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم، هذا مما أمر بعمله الأمير الأجل أيده الله وأعز نصره وأدام دولته، وكان إتمامه على يد الفقيد الأجل القاضي الأوصل ابن

¹ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص34.

² عبد العزيز الفيلاي: مرجع سابق، ص 145.

³ بغية الرواد: مصدر سابق ج1، ص211.

⁴ يحيى بوعزيز: المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، ط1، anep، الجزائر، 2002، ص145، 6.

الحسن بن عبد الرحمن بن علي ادام الله عزهم فتح في شهر جمادى الأخير عام ثلاثين وخمسائة " 1

ويقع هذا المسجد بوسط المدينة وهو بناء مستطيل طوله ستون مترا وعرضه خمسون، مبيض بالجير وتعلوه قبتان مغطى سطحه بقرمود أخضر اللون ومئذنته عالية ذات أربع أوجه يبلغ ارتفاعها خمسة وثلاثين مترا وهي من بناء السلطان يغمراسن بن زيان بخلاف الجامع الذي شيده أمير المسلمين علي بن يوسف اللمتوني كما هو مسطر في القسم التاريخي ثم أتمه الموحدون بعد استيلائهم على تلمسان. ² (أنظر ملحق 02 ص 67)

لهذا الجامعة ثمانية أبواب، ثلاثة منها في القبلة : باب ابن مرزوق وسمي بهذا الاسم لقربه من ضريحه ³ أما القسم لثالث الذي أضيف إلى المسجد الأعظم فقد كان في عهد يغمراسن حيث أضاف له الجزء الشمالي من بيت الصلاة والقبلة والصحن والمئذنة المتأثرة بالعمارة الأندلسية ⁴ وبيت الصلاة (أنظر الملحق (3) ص 68) فهي بيت فسيح يحتوي على اثنين وسبعين سارية عظيمة من الحجر الصلد تحمل قناطر مقوسة لا زخرفة عليها يتألف منها ست بلاطات وثلاثة عشر رواق أوسعها الرواق الأوسط الذي جعل المحراب والقبان فيه، وهذا الرواق هو أجمل ما في هذه القاعة لما يحتوي عليه من النقوش الجبسية المحفورة والبارزة التي زخرف بها إطار المحراب والقبان الوسطى والتي أمام المحراب، القبلة الوسطى مزخرفة بتغاريم عريضة تلمع لمعانا وأما القبلة التي أمام المحراب فإنها على الشكل الكثير الأضلاع وآلفت صفحاتها من عدة قناطر متتالية كل قنطرة تحتوي على ثلاثة أجزاء، وتحت ما ذكر نرى نافذة مقوسة مزخرفة بأشكال هندسية شبيهة بالشباك وعلى يمينها ويسارها رواقان

¹ عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني: ج1، موقع النشر، الجزائر، 2002، ص145.

² محمد بن رمضان شاوس: باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة الدولة، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011، ص176.

³ عبد العزيز فيلاك: المرجع السابق، ص146.

⁴ محمد رمضان شاوس: المرجع السابق، ص176.

مؤلفان من قناطر صغيرة وضعت على ركائز ذات تيجان متوازية الاضلاع كل قنطرة منها تحتوي على ثلاثة أقواس صغيرة ثم تأتي النافذة والرواقين حاشية تحيط بإطار المحراب كله ثم تتخللها أوراق أخرى ترى على جانب ثم تأتي حاشية ثانية محتوية على ما يلي: بسم الله الرحمن الرحيم " ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ * وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ * إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ ¹

وأما صحن الجامع أو فناؤه فهو فضاء واسع مربع الشكل تبلغ مساحته نحو الأربعمائة متر مربعا مفروش بمربعات كبيرة من الرخام وفي الوسط حوضان أحدهما مستطيل الشكل يحيط به جدار صغير حديث العهد مغشى بالزليج المختلف الألوان وفي الوسط نافورة من الرخام يجري فيها ماء عذب لذة للشاربين ولا سيما في فصل الصيف وثانيهما مدور الشكل تحيط به محاطب من الرخام يجلس عليها المتوضئون وهذا الحوض الأخير يجري إليه الماء من الحوض الأول بواسطة قناة تجمع بينهما وبكل جانب من جوانب الصحن الأخرى أي الشرقية والغربية والشمالى أروقة سقف كل رواق منها محمول على سوار فخمة ويحتوي على ثلاث أو أربع بلاطات وتحيط بالصحن من جوانبه الأربعة أبواب من الخشب متوسطة الشكل ذات خوختين للدخول إلى الصحن والخروج منه وفي جهة القبلة من الصحن يوجد محراب مفروش برخام أسود اللون معد للصلاة في فصل الحرارة وتشرف على هذا الصحن من جهة الشمال مئذنة يصعد إليها بمائة وثلاثين درجة وهي ذات أربعة أوجه مزخرفة بأشكال مختلفة يعلوها جامور مزخرف كذلك وكثيرا ما تزين بالأنوار الكهربائية في ليالي الأعياد والمواسم فيزيدها ذلك بهاء وجمال. ² (أنظر ملحق 04 ص 69)

¹ آيات 204 و 205 و 206 من سورة الأعراف.

² محمد رمضان شاوش: المرجع السابق، ص 183-184.

(ب) مسجد سيدي أبي الحسن :

يقع مسجد أبي الحسن بالقرب من المسجد الأعظم، قام بتأسيسه السلطان الزياني أبو سعيد عثمان بن يغمراسن سنة 696هـ-1296م كما تبين تلك الكتابة التي توجد على يمين المحراب وعلى يساره ¹ " بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وعلى سيدنا محمد وعلى آله وسلم، بني هذه المسجد الأمير أبو عامر إبراهيم بن السلطان، ابي يحيى يغمراسن بن زيان في ست وتسعين وستمئة ومن بعد وفاته رحمه الله " ²

لهذا المسجد في الواجهة الجنوبية الشرقية مئذنة معتدلة القامة متناهية في الطرف والرشاقة تحتوي أوجهها الأربعة على زخرفة ذات أشكال بديعة. ³ (أنظر إلى الملحق 05 ص70)

أما قاعة الصلاة فهي بيت مربع الشكل مساحته نحو المائة متر مربع يحتوي على ثلاثة أروقة وسقفها محمول على صفيين من الأعمدة المكحلة بتيجان في غاية الزخرفة واللطافة تحيط بها مثل الأساور بالمعصم وهذه الأعمدة تجمع بينهما أقواس على شكل حدوة الفرس وهذا السقف المصنوع من خشب الأرز المنقوش بأشكال بديعة، وقد أصابه وللأسف حريق في أوائل سنوات الاحتلال فذهب بمحاسنه كلها وما يتعلق بالمحراب (أنظر الملحق (6) ص71) الواقع في الجدار القبلي من الرواق الأوسط فزخرفته الجبسية الباهرة تثير إعجاب الزائر وتأخذ بمجامع قلبه وتذهب به في فضاء الأحلام إلى أن يذهل عن نفسه ويكاد يفقد شعوره زخرفة فيه هذه المحراب الصغيرة بأشكال ظوھيت فيها الطبيعة ⁴ مظاهرات بتلك التماثيل المدلاة كأنها في الكهوف والمغارات ترتاح هذه القبة على أعمدة من المرمر داخله في زوايا الرسم الكثير الأضلاع والأعمدة نفسها تعتمد على الافريز الذي يبتدي منه

¹ عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص146.

² رشيد بورويبة: الكتابة الأثرية في المساجد الجزائرية، ترجمة إبراهيم شيوخ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص77.

³ محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص187.

⁴ رشيد بورويبة: نفس المرجع، ص496.

قوس فتحة المحراب وهو قوس على شكل حذوة الفرس يحمله عمودان من المرمر داخلان ويحيط به إطار عجيب رائع المظهر يتألف من حاشية أولى مدورة الشكل شبيهة بالأغلال رسمت بين القوس الفتحة وبين قوس ثان أكبر منه وجعلت نقطته المركزية فوق الأول ثم تأتي حاشية ثانية محفورة محتوية على خط عادي بسيط تحيط بالقوس في مستطيل الكبيرة إلى زاوية الجهة العالية فإن وسط كل واحدة منهما وشى ببرعمة ذات تعارض كثيرة شبيهة ببعض الأصداف وبعد ذلك تأتي حاشية ثالثة مؤلفة من عدة حويشيات ذات خطوط كوفية تتخللها أشكال عريضة ومربعات ذات أشكال هندسية وفوق ذلك كله تأتي طبقة أخرى محتوية على ثلاث نوافذ مقوسة ومزخرفة بأشكال هندسية تلمع لمعانا وهذه الطبقة والتي قبلها تجمعها حاشيتان أخريان طبقتان مزخرفتان بخطوط عادية بسيطة وإن زخرفة المحراب هذه لها شبه كبير بزخرفة محراب مدرسة العطارين الفاسية كما صرح بذلك الأستاذ ألفريد بيبيل في كتابه " تلمسان وناحيتها" ¹

وهو مستلهم من الهندسة المعمارية والزخرفة الغرناطية من الأخوين المستشرقين " جورج " وليام " مارسي فوصفوه بالابتكار والابداع. ²

كما يتميز بالسواري المنحوتة من الرخام تعلوها تيجان جميلة الشكل والمنظر ³ ويعتبر المحراب من أجمل المحارب في العالم الإسلامي ⁴ ويشتهر أيضا بسقيفة من الأرز المنقوش والزخرفة التي تزين جدرانه وتنتظم حول ثلاث أقواس مذبذبة مندرجة في حافة مستطيلة تجري عليها كتابة بالخط اللين. ⁵

¹ محمد رمضان شاوس: مرجع سابق، ص 187-188.

² عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ص 147.

³ نفسه، ص 147.

⁴ رشيد بورويبة وآخرون: المرجع السابق، ص 496.

⁵ نفسه، ص 496.

ومما يزيد هذا المسجد بهاء وجمالا أن جدرانه وقناطر رواقيه مزخرفة كلها بزخارف بديعية إلا أن زخرفة القناطر قد ذهب معظمها ولم يبق منها إلا القليل، بخلافه زخرفة الجدران فإنها لا تزال على أصلها ولم يحلقها أدنى تغيير بل لا تزال لها قناطير صغيرة مست، كما أن زواياها مغطاة بنماذج مكررة مرسومة في مربعات وأخرى هندسية تشترك اشتباكا إلى ملئ فراغها بزخرفة مصنوعة بنظام، وكل ذلك نحيط به حاشية محتوية على خطوط عادية بسيطة أضف إلى ذلك أن قاعة المسجد كلها يحيط بها أفريز يحتوي على أشكال هندسية من أبهى ما يشاهد فيها.¹ (أنظر الملحق (7) ص72)

ج) مسجد أولاد الإمام:

أنشأه السلطان أبو حمو موسى الأول سنة 710-1310 ليكون ملحقا بالمدرسة القديمة، التي بناها لابني الامام، وكان هذان العالمان قد قدما من مدينة يرشك.² ويقع بالقرب من مسجدي أبي الحسن وإبراهيم المحمودي³ (أنظر الملحق 8 ص73) فقد هذا المسجد زينته ما عدا القبة التي تعلو المراب وتمتاز هذه القبو المزينة بالمقرنصات بقاعدتها التي تتخذ شكل مضلع سداسي الأضلاع.⁴

وبقي لنا أيضا من هذا المسجد قطع من الجص المنقوش التي كانت تزخرف إطار المحراب، تشمل زخرفتها على حاقة مذبذبة وحافتين مستطيلتين إحداها مزينة بمشبكات هندسية والأخرى بكتابة وعناصر بنائية.⁵

والمحراب كغيره من المحارب يتكون من تجويف مضلع الشكل يصل اتساعه في العمق 1.70م أما بالنسبة لمئذنة هذا المسجد فيبلغ ارتفاعها 17 متر وزخرفة واجهاتها

¹ محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص190.

² عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج1.

³ نفس المرجع، ج1 ص

⁴ رشيد بورويبة وآخرون، المرجع السابق، ج3، ص497.

⁵ المرجع نفسه، ج3، ص497.

الأربعة بزخرفة على شكل رقعة الشطرنج تحتوي على مربعات من الفسيفساء ومختلفة الألوان وكلها على شكل معين.¹

أما قاعة الصلاة فإنها مؤلفة من ثلاث بلاطات وثلاثة أروقة جعل المحراب في واجهته الأوسط وهو يحتوي على ثلاثة نوافذ مقوسة.²

ويتميز هذا المسجد بصغر حجمه وبعدم وجود صحن، وللمسجد ثلاث أبواب : باب في الجدار الشرقي، وباب ثان يؤدي إلى المئذنة، والباب الثالث يتوسط الجدار الشمالي.³ (أنظر الملحق (9) ص74)

¹ مرزوق بته: الزخرفة المعمارية في عمارة المغرب الأوسط خلال (5-8 هـ 11-14 م)، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار جامعة الجزائر 2.

² محمد بن رمضان شاوس: نفس المرجع، ص198.

³ محمد لخضر عولمي: الزخرفة المعمارية في عهد المرينيين والزيانيين، دراسة تحليلية ومقارنة، رسالة دكتوراه في الآثار الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2012-2013.

المبحث الثاني: الزوايا والرباطات

1.2 - تعريف الزاوية :

أ) المفهوم اللغوي :

الزاوية في الأصل ركن البناء، و في اللغة "الزاوية" من الانزواء و الانطواء و الانعزال

و البعد عن حياة العامة و الأسواق، و لعل هذا ما يفسر وجود اغلب الزوايا في البراري

و الجهات المهجورة بعيدا عن العمار¹.

و زوي الشيء أو زواه بمعنى قبضه معه، مما يفيد التركيز و التمكين من الشيء أيضا ،

و زوى الشيء أي نحاه و انزوى القوم بعضهم إلى بعض أي تدانوا و تضامنوا و يقال أيضا

انزوت الجلدة في النار : إذا انقبضت واجتمعت"، و في حديث ابن عمر " كان له ارض

زوتها ارض أخرى : أي قربت منها و قيل أحاطت بها مما يفيد معنى الإحاطة و القرب، كما

يعني التهيو أيضا .زويت الكلام أي حبسته و أسرته في نفسي والزاوية مأخوذة من الفعل

انزوي، ينزوي، بمعنى اتخذ ركنا من أركان المسجد للاعتكاف و التعبد.

من خلال هذه التعاريف العديدة يتبين لنا التنوع اللغوي الكبير لمعنى الزاوية مما قد يحيلنا

إلى معاني كثيرة كالبعد ، الانعزال ، الانطواء، والاعتكاف أو القبض و التمكّن من الشيء

¹ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1981، ج 1، ص40

أو التضامن ، الركن و أساس البناء و كلها مفردات ذات دلالات متقاربة أحيانا و مختلفة أحيانا أخرى¹.

ب) المفهوم الاصطلاحي:

الزاوية ركن من أركان المسجد اتخذت للعبادة و الاعتكاف و التعبد ، ثم تطورت الزوايا فيما بعد إلى أبنية صغيرة يقيم فيها المسلمون الصلوات و يتعبدون فيها و يعقدون بها حلقات دراسية في علوم الدين وما يتصل بالدين من العلوم النقلية و العقلية ، كما يعقد فيها مشايخ الطرق الصوفية حلقات الذكر، وهذا ما يذهب إليه أيضا عبد الحكيم عبد الغني قاسم الذي يرى أن الزاوية كانت في البداية تعني جزء أو ركن من المسجد يخصص للعبادة لكنها مع مرور الوقت اتخذت شكلا جديدا في هيئة دور - جمع دار - تقام للدراسات العلمية و الدينية، وقد اتخذتها الصوفية مكانا لإقامة حلقات الذكر فيها وهو بذلك يصنفها (الكاتب) بوصفها من المؤسسات التربوية الصوفية².

والزاوية عبارة عن مكان معد للعبادة و إيواء الواردين المحتاجين و إطعامهم و تسمى في الشرق خانقاة (وجمعها خانقهاة أو خانقاوات أو خوانق)

كما تعرف الزاوية بأنها "مدرسة دينية، و دار مجانية للضيافة، و هي بهذين الوصفين تشبه كثيرا الدير في العصور الوسطى و لعل هذا ما يفسر أن هذه المؤسسات عرفت في بداية

¹ محمد ابن مرزوق الخطيب: المجموع، مخطوط، الرباط: الخزنة العامة، ميكروفيلم رقم 20 ، ورقة 41.

² الدراجي بوزيان :نظم الحكم في الدولة الزيانية .ديوان المطبوعات الجامعية.الجزائر.1993،ص263.

تأسى بها ببلاد المغرب خاصة على العهد الموحي بدار الكرامة أو دار الضيوف في العهد المريني كما يمكن اعتبار الزاوية أيضاً مقر لسكن الولي، ومكان يجتمع فيه عليه¹. و تطلق الزاوية أيضاً على المعهد و الرباط الذي تنشئه إحدى الفرق الصوفية كالقادرية و التيجانية و السنوسية والشاذلية و الخلواتية . وقد تطلق كلمة الزاوية على مسجد خاص بطائفة صوفية أو ضريح لأحد الأولياء تتصل بها غالباً مقبرة يدفن فيها بعض من لهم علاقة بالطريقة أو قرابة بالولي و كثيراً ما تلحق بالزاوية حجرات ينزل فيها الضيوف والمنقطعين للعلم أو العبادة والزاوية أيضاً مؤسسة يقوم بتأسيسها شخص ذو شأن روحي و شخصية دينية معروفة بالفضيلة، بمبادرة منه مشهور بالتقوى و الصلاح و العبادة يتولى مهمة الوعظ و الإرشاد لمن يتردد عليه من أتباع و مریدين، كما تأوي المنقطعين للعلم و الزهد و العبادة، و تحقق غرض منشئها و الواقفين عليها في فعل الخير و اكتساب الثواب و يذهب أبوا لقاسم سعد الله إلى أبعد من ذلك في تعريفه للزوايا عندما يقول أن: (الزوايا عبارة عن مؤسسات دينية و مراكز ثقافية و نواد اجتماعية و خلايا سياسية يتعلم الناس فيها مبادئ دينهم و تعاليم شريعتهم و فيها يتلقون مختلف العلوم و المعارف و يقيمون العلاقات الاجتماعية و العسكرية و السياسية)²

ومن أشهر الزوايا التي انتشرت في تلمسان خلال فترة الدولة الزيانية³:

¹ أبو القاسم سعد الله : نفس المرجع السابق.ص42

² رشيد بورويبة وآخرون :مرجع سابق، ص492.

³ يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص203.

*زاوية الأمير أبي يعقوب التي أنشأها السلطان أبو حمو موسى الثاني على ضريح والده .

*زاوية سيدي أبي الحسن التي شيدها السلطان أبو سعيد عثمان الزياني.

*زاوية الامام محمد السنوسي بتلمسان

* زاوية ابن البناء بتلمسان

الرباط :

حصن دفاعي يتجمع فيه من نذروا أنفسهم للدفاع عن دولة الإسلام وكان ظهور الرباط في

أول الأمر على شواطئ المغرب، وهذا حينما كانت تتعرض سواحله إلى غارات الأسطول

البيزنطي. وأقدم رباط شيده المسلمون هو رباط المنستير¹، وكان يعلن عن الأخطار بإشعال

النيران فوق أعلى مرتفع من الرباط وحتى ينقل الخبر إلى الرباطات الأخرى وبهذا العمل

ينتقل الخبر بسرعة عبر كامل الساحل².

حققت الرباطات غرضها الدفاعي، وحينما انتشر الإسلام وتكونت الأساطيل الإسلامية

أخذت تشارك في الحياة العقلية وكان جهادها مزدوج جهاد بالسيف و جهاد بالقلم، وأشاع

فقهاء المالكية روح المرابطة بزهدهم في الدنيا وإعراضهم عن مصاحبة السلطان وفي أوقات

تعرض فقهاء المالكية إلى الفتن والاضطهاد كانت الرباطات هي الملجأ للمقاومة والدفاع عن

¹ إبراهيم العبيدي، تاريخ التربية في تونس، ص 160، وعن رباط المنستير راجع الدراسة المطولة انظر:

le ribat de sousse suivi de notes sur le ribat de Monastir Imprimerie la rapide Tunis 1956.،Alexandre Lezine

IBID² | صفحة 7

المذهب المالكي¹. توغلت حركة المرابطة في المرة الأولى نحو الداخل ثم وصلت إلى غاية بلاد السودان وأشهر الرباطات، رباط وادي تازة ورباط وادي ماسة ورباط نفيس، وقد تأدب فيه عبد الله ابن ياسين الذي جعل من رباط حوض السنغال مدرسة ومعهدا الذي كان مهد الدولة المرابطيين ومحضن أتباع عبد الله بن ياسين هذه الدولة التي كان لها دورا جليلا في تاريخ المغرب والأندلس، وكانت هذه الرباطات يأوي إليها الصالحون والزهاد ويقومون فيها بالتعليم الشعبي خاصة الوعظ أثناء الموسم الذي يعقد كل سنة في هذه الرباطات كرباط ماسة، ورباط شاكر بوادي نفيس ورباط فوز أو أزموور ورباط شالة وازدهرت الرباطات مع انتشار التصوف ، فذكر ابن الزيات صاحب التشوف 20 رباطاً ورباطة بالريف في القرن السادس الهجري ، وبحكم تعرض الأندلس لغزوات النصارى فقد كانت الرباطات ترصع سواحل الأندلس وثورورها والأندلس أرض الجهاد الدائمة بلا شك وأن للرباط طابعه الحربي والديني إلا أنه أصبح قبلة تحصيل العلم والثقافة ولم تكن الرباطات ملاجئ عطالة وانقطاع عن العمل إذ لا رهبانية في الإسلام ورهبانيتهم الجهاد ، والجهاد الأكبر مجاهدة النفس الأمانة بالسوء وطلب العلم. وقد مارس الأندلسيون المرابطة باعتبارها نشاطاً معوضاً لعدم إمكانية قيامهم بالجهاد² وهو نفس الموقف الذي ذهب إليه الباحث محمد مفتاح ، في دراسة قيمة حول "مفهوم الجهاد والاتحاد في الأدب الأندلسي" ومن الرباطات التي لها بالأندلس شهرة رباط طليطلة وبطليوس والرباطة

¹ حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطيين. دار الفكر العربي. القاهرة ، ص 134-135.

² هذه الفكرة من استنتاجات الباحث الإسباني ميكيل دي إبالثا انظر: الرباط والرباطات في الأسماء والآثار الإسبانية تعريب الحسين اليعقوبي (مجلة دراسات أندلسية) عدد: 13 ، شعبان 1415هـ/جانفي 1995م. ص: 79. انظر د. سحر السيد عبد العزيز سالم ، الرباط في التاريخ الإسلامي ، ص: 259 هامش رقم: 568.

المعروفة برابطة من أحضر فهي في الأندلس كعقبر باليمن وهي من عجائب بلنسية كما يروي أبو عبد الله محمد بن أبي بكر والمعروف بالزهري صاحب "الجغرافية"، المعاصر للمرابطين ورباط شنترين ورباط الريحانة من عمل شلب ومن العلماء الأفاضل الذين عاشوا في هذه الرباط ابن بسام الشنتريني صاحب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (542هـ/1148م) إذ أن شنترين بأكملها كانت رباطا كالقيروان في عهد الفتح، فالرباطات إما مراكز دفاعية على شكل قلاع أو مدنا بأكملها ومن الذين تكونوا في هذه الرباطات محمد بن عمر بن المنذر الملقب بأبي الوليد الذي تزهد وانزوى في رباط الريحانة وتصدق بأمواله وتميز بمعارف أدبية وفقهية وكان قد تولى خطة الشورى في بلده قبل انقطاعه في الرباط، غير أن هذه الرباطات التي أدت دورا عظيما في الدفاع عن الأندلس وهذا برفع راية الجهاد ضد المسيحيين، وشاركت في الحياة الفكرية بنصيب فإن روادها في أواخر الدولة المرابطية، تحولوا إلى قوة تزعمت ثورة كبيرة مناوئة لحكم المرابطين بقيادة الإمام ابن قسي بالبرتغال (بلاد الغرب)، وتسمى ثورتهم في التاريخ بثورة المريردين، وكانت المرية مركز هذه الحركة التي قضى عليها الموحدون بعد استيلائهم على الأندلس¹.

ومما أنتجته الرباطات على المستوى الثقافي، وكما يقول الأستاذ الباحثة عثمان الكعكع تخصيص حصص لقراءة القرآن وتفسيره الحديث وعلومه وقراءة كتب الفقه وشعر المواعظ والذي يسمى "الرقائق" والذي كانت تعقد مجالس خاصة يومي السبت والخميس من كل

¹ يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ص 198.

أسبوع كما لا يخلو الرباط من أناشيد دينية تُسمّى العادة أو العمل، والعادة هي أناشيد موحدة بين جميع الرباطات وقد ذهب بعض الباحثين إلى عدها في حكم الموروث البيزنطي في غرب المتوسط وهي التي نهضت منها الأناشيد والأوراد الصوفية في مرحلة متأخرة عن عصر المرابطين ومنتصف عصر الموحيدين¹.

حصن تلمسان: وهو أول حصون الدولة العبد الوادية والمتمثل في عاصمتها تلمسان بالذات، التي تعتبر بمثابة القلعة في مناعتها وحصانتها، والدليل على هذه المناعة أن حصار بني مرين لها دام ثمان سنين وثلاثة أشهر دون أن يفتحوها.

القلع:

لقد عرفت الدولة عدة قلاع منها:

-قلعة المشور² :

التي قاومت صروف الدهر وتتوسط المدينة كالتعود الشامخ، شيدت هذه القلعة من قبل السلطان يغمراسن بن زيان، ويبدو أن المشور كان يحتوي على سجون كغيره من القلاع يحبس فيها المعارضين من الأسرة الحاكمة والوزراء والكتاب وغيرهم

¹ انظر بشيء من التفصيل : محمد الأمين بلغيث ،الرُّبُطُ بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحيدين ، (انظر الدور الثقافي للرباطات) ، انظر تعليقات الأستاذ المرحوم عثمان الكعاك أنظر أيضًا نفس المرجع من خلال قراءة واستشهاد الباحث التونسي ، لطفي عيسى ، أخبار المناقب في المعجزة والكرامة والتاريخ ، تونس سراس للنشر ، 1993م. ص:22 هامش رقم:3.

² المشور وهي كلمة تعني في الأصل قاعة المجلس اطلق على مقر اقامة السلطان.

-قلعة أمامة 1:

وهو عبارة عن قصر كبير بني على شكل قلعة مرتفعة تقع في الشمال الغربي من مدينة تلمسان

-قلعة ابن الجاهل 2 :

وهي حصن هام أنشأه الزيانيون في الجهة الجنوبية للدفاع عن المدينة في هذه الناحية ولعبت هذه القلعة أدوارا دفاعية محكمة.

¹ عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ج 1، ص 160.

² المرجع نفسه، ص 162.

المبحث الثالث: المدارس

1-3 مدرسة أولاد الإمام:

هي أول مدرسة أسست من طرف الزيانيين ، كانت تدعى بالمدرسة القديمة ، أسسها السلطان الزياني أبو حمو موسى الأول (707-714 هـ / 1308-1318 م) بالمغرب الأوسط وذلك سنة 710 هـ / 310 م، عين للتدريس فيها ابني الإمام أبي زيد عبد الرحمن (ت 743 هـ / 1342 م) و أبي موسى عيسى (ت 749 هـ / 1349 م) فصارت تعرف باسمهما (أي مدرسة أولاد الإمام)، و كان موقعها بالقرب من باب كشوطة غرب مدينة تلمسان.¹

لانملك المعلومات الكافية التي تدلنا على ضرفية تأسيس هذه المدرسة إلا قول التنسي الذي كان يتحدث عن أبو حمو موسى الأول قائلا: "..... كان محبا للعلم و أهله معتنيا به ، قائما لحقه ، ابني مدرسة لابني الإمام تكريما لهما و احتفاء بهما ، و شكر الله على نعمته عليه لقتل عدوه أبي يعقوب المريني و تخلص تلمسان منه ، وقد بنيت داخل باب كشوطة."²

و يذكر المستشرق الفرنسي بروسيلار Brosselard ، أن الأمير كان يكلف الأخوين بمهام دبلوماسية تكلفت بالنجاح ، فبني لهما مدرسة ، و منازل خاصة لهما و لعائلتهما و قاعات كبيرة لاستقبال الطلبة و الضيوف ، و الحق بالمدرسة مسجدا للصلاة و زاوية للطلبة الأجانب عن تلمسان شكرا لهما و كان ذلك في السنة الرابعة من ملكه.³

و قد قدما ابنا الإمام هما من مدينة برشك، حيث كان والدهما إماما بأحد مساجد هذه المدينة فاشتهدا يومئذ بهذه النسبة و عرفا بها.

بعد استيلاء زيري بن حماد المكلاقي المعروف بزيرم على مدينة برشك سنة 683 هـ / 1284 م رمى بإمام المدينة (والد الأخوين) بتهمة احتوائه على وديعة مالية لبعض أعداء زيرم و طالبه بها فانتهى الإمام منها فقتله زيرم غيلة.

و من هنا ارتحلا الأخوين في أواخر القرن 7 هـ إلى تونس حيث اجتمعا هناك بفضاحل العلماء ، و بعد أن أنهى الأخوان رحلتهم العلمية بالمغرب العربي ، عادا إلى مسقط رأسيهما برشك ، لكن امتنعت

¹ ابن خلدون (يحي) : بغية الرواد، ج1، ص 130.

² - ابن مريم أبو عبد الله محمد بن أحمد: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908 م.ص126.

³ Brosselard (Charles) : « les inscriptions arabes de Tlemcen»(revue africaine ;1859ou1862

عليهما لوجود زيرم بها. لذلك أقاما بمدينة الجزائر حيث كانا ينشران العلم بها ، في هذه الأثناء كان السلطان أبو يعقوب يوسف المريني يومئذ محاصرا لتلمسان و انتشرت جنوده في اغلب عواصم القطر الجزائري ، لهذا السبب ارتحلا الأخوان إلى مليانة عاصمة مغراوة ، كان بها آنذاك الكاتب منديل بن محمد الكيناني ضابط جباية مرين و صاحب أشغالهم ، فعرف منزلتهما، و قربهما منه حيث اتخذها لتعليم ولده محمد. وبعد وفاة السلطان أبو يعقوب المريني ووقع الصلح بين بني مرين وبني عبد الواد ، انتقل الأخوان صحبة الكناني و حلا بتلمسان ، فاتصلا بالسلطان أبي حمو موسى الأول.

لما انتصر هذا الأخير على بلاد مغراوة و داع صيته ، كان آنذاك أبو زيد عبد الرحمن بن الإمام هو سفير السلطان إلى زيرم برشك ، واستأذن السلطان في اخذ ثأره منه فأذن له، و اخذ أبو زيد التردد على زيرم برشك حتى تمكن منه و ثار لأبيه و كان ذلك سنة 708هـ/1308 م حيث صارت برشك لبني زيان. استمرا الأخوان العلمان على صحبتهما لأبي موسى الأول بتلمسان إلى وفاته ، بعدها تقربا من ولده السلطان أبو تاشفين الأول مدة سنتين ثم غادرا إلى المشرق و ذلك سنة 720 هـ/1320م ، حيث اجتمعا هناك بأكابر العلماء.

عادا ابنا الإمام من المشرق و كانا قد دعى صيتهما و اشتهرا بالتبحر بالعلم و عرفا بالإمامة و الاجتهاد المطلق ، فانحال عليهما الطلبة حتى غصت مجالسهما العلمية .

و لما استولى السلطان أبو الحسن على تلمسان رفع من منزلتهما و اختصهما بالشورى في بلدهما ، فلما خلع السلطان أبو عنان طاعة أبيه السلطان أبي الحسن و هاض إلى فاس ، و لاه قضاء مكناسة و هلك حجا بمكة عند طواف القدوم سنة 764هـ.

عاش ابنا الإمام في كنف السلطان أبي تاشفين الأول الذي كان يباليغ في إكرامهما ، حيث لازماه في قصره إلى أن استشهد في وقعة سقوط تلمسان في يد بنو مرين سنة 337هـ/1337م.

و بعد استيلاء السلطان أبي الحسن المريني على تلمسان جاء بابني الإمام إلى قصره ورفع من شاهاما ، كما احضرهما معه وقعة طريف بالأندلس آخر سنة 740هـ/1340م.

و كانت وفاة أبي زيد في العشر الأوسط من رمضان سنة 741هـ ، أوائل مارس 1340م و دفن ببلدته برشك.

ازداد مقام أخيه رفعة عند السلطان أبي الحسن فعاش في أكنافه ، إلى أن شغل السلطان بحوادث تونس و القيروان ، وهنا استطاع أبو موسى الرحيل إلى بلده ، فأقام بها قليلا حتى وفاه اجله في الطاعون الجارف سنة 749هـ/1387م.¹

¹ عبد الرحمن بن محمد الجيلالي : المرجع السابق، ص 152-156.

أ- الوصف المعماري للمدرسة:

علمنا من المصادر أن الملوك الزيانيين ابتنوا للأخوين المدرسة بناحية المطمر من تلمسان لطلبة العلم ، و ابنتى لهما دارين عن جانبيهما و جعل لهما التدريس فيها في إيوانين معدين لذلك، إلا انه بعد الحفائر الأثرية تم العثور على لوحتين من الرخام تحمل كل واحدة منهما كتابة ، احدهما في حالة جيدة من الحفظ ، أما الثانية فهي مكسرة طويلا ، وضعت هاتين اللوحتين في مقر البلدية حيث حفظت هناك. الثانية فهي مكسرة طويلا.

مقاس اللوحتين (05سم x 43سم) ،تحتوي كلاهما على 15 سطرا ، و الثانية هي استمرارية للأولى و هذه الكتابة وقفية لكل من الزاوية و المسجد و المدرسة.

ومن حسن الحظ أن اسم الواهب و السنة واضحتين و هي كالتالي:

أمير المؤمنين المتوكل على رب العلمين أبو حمو ابن مولانا
الأمير ابن يعقوب ابن الأمير أبي زيد ابن مولانا الأمير أبي
زكريا ابن مولانا أمير المسلمين أبي يحيى يغمراسن بن زيان و
صلى الله مفاخره و خلد أثار الكريمة و مآثره على هاذه
الزاوية المباركة المقامة على ضريح والد المذكور برد الله ضريحه
فمن ذاك ما بداخل تلمسن المحروسة جميع الطاحونة
الملاصقة للزاوية و الثلاثون حانوتا المعروفة بالصاغة القديمة
و الكوشة التي بمنشر الجلد و حمام الطبول و فرن مقسم الما
و فندق العلية و بخارج البلاد المذكور جميع الرحا السفلى
بفعله بنى معلى و النصف شايعا في روض المنية الكاينة
بالرميل و زيتون تيفداو ارض الزيتون المذكور ثم معصرته و
رحاها و جميع الحبس ملكه و شهرة الجميع تغنى على
التحديد تحببسا تاما مطلقا عاما ووقفا ثابتا ابديا ليصرى ما
يستفاد من الحبس المذكور على معلمين العلم و طالبيه و
إمام و مؤذن عام ثلاثة و ستين وسبع مائة.....عام خمسة
و ستين.¹

¹ Brosslard(ch):Inscriptionsarabes de Tlemcen,p 169-170: انظر

لكن الأسطر الأخيرة للكتابة لم تكن واضحة ، لكن ما لاحظته بروسلار آنذاك هو أن كلمة مسجد و مدرسة تظهران المرة تلوى الأخرى ، هذا ما يدل أن المؤسستين تدخلان ضمن الأوقاف الأخرى.¹

حسب رأي مارسى فان المدرسة كانت تحتل المساحة الواقعة في الركن الشرقي للمسجد ، وأنها كانت تتألف من قاعتين كبيرتين يتلقى فيها الطلبة دروسهم على يد الشيخين ابني الإمام، ومسكنين لهما، لكن لم يبقى من هذه المجموعة المعمارية غير المصلى الصغير المشرف على الصحن الصغير الذين كانا تابعين للمدرسة. بنيت هذه المدرسة (15 سنة) قبل مسجد سيدي بلحسن ، يظهر في مسجد أولاد الإمام الفن المغربي الذي يوحي بالهام مليء بالدقة و الجمال . فقد مسجد أولاد الإمام معظم زخرفته، وهذا بعد أن استعمل كمدرسة قرآنية، وهذا حتى سنة 1968 حيث استرجع المسجد وظيفته الطبيعية.²

3-2 المدرسة التاشفينية:

تأسست هذه المدرسة من طرف السلطان الزياني أبي تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو موسى الأول في الفترة ما بين (718هـ/1318م) و(737هـ/1337م) و تعد ثاني مؤسسة زيانية أسست بالمغرب الأوسط.³ ويذكرها التنسي بقوله⁴: ".....وحسن ذلك بينائه بإزاء الجامع الأعظم".... لذلك فمن قول التنسي نستنتج أن التاشفينية تقع بإزاء المسجد الجامع جنوبا ، فهي توجد في مجال يعتبر النواة الأولى بعد جامع أغادير الذي أسسه إدريس الأول خلال النصف الثاني من القرن الهجري . و تبين من أن اختيار مكان التاشفينية لم يكن صدفة بل كان لاعتبارات أخرى و ذلك في رغبة مؤسسها للاستفادة من المجال الحيوي الذي بنيت فيه حتى تستطيع المدرسة أداء رسالتها التعليمية بوجودها في فضاء يضم أقدم المباني (القصر-الإدارة).....⁵

¹ : 171 p, inscription arabe de Tlemcen. Brosslard(ch). انظر

² : 171 p, 2eme édition S.N.E.D, Alger, 1981, Bourouiba(R):L'art religieux musulmanenAlgérie انظر

³ المقري: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب تح د/إحسان عباس ج5، دار صادر بيروت 1388هـ/1968م ص223-224.

⁴ أبو عبد الله محمد التنسي: مصدر سابق، ص 141.

⁵ د/صالح بن قربة : مرجع سابق، 145.

ليس لدينا تفاصيل دقيقة عن ظروف تأسيس المدرسة، إلا إشارات من بعض المصادر، نذكر كتاب (نفح الطيب) بقوله: "رأيت مكتوبا بأعلى دائرة مجرى الماء بمدرسة تلمسان التي بناها أمير المسلمين ابن تاشفين الزياني، و هي من بدائع الدنيا هذه الأبيات التي أوردها المقري¹:

وبديع اتقاني و حسن بنائي
من نشأتي بل من تدفق مائي
انظر بعينك مهجتي و سنائي
و بديع شكلي و اعتبر فيما ترى
صاف كذوب الفضة البيضاء
جسم لطيف ذائب سيلانه
فغدت كمثل الروض غب سماء
قد حف بي أزهار وشي نمقت

و تعد المدرسة التاشفينية من أفخم المدارس في تلمسان و ذلك حسب ما ذكره المؤرخون ، و ظلت قائمة حتى بعد الاحتلال الفرنسي ، لكنها تعرضت للهدم و للتخريب سنة 1873 من قبل الإدارة الفرنسية. لكن قبل التدمير قام المهندس Duthoit مع الرسام Danjoy بالرفع المعماري والفني ، حيث رسمت لها بعض من فسيفسائها، و إحدى واجهاتها.²

و يعتبر تخطيط المدرسة التاشفينية ذو ميزة لا تشاركه فيه أية مؤسسة أخرى ، فهو فريد من نوعه حتى في المغرب الإسلامي، و إذا كان هناك من تخطيطات لبيوت الصلاة في المدارس المرينية في فاس قريبة الشبه بتخطيط المدرسة التاشفينية فهي مدرسة أبي الحسن في سلا ، فان تنظيمها المعماري يختلف عن أي تنظيم لأي مدرسة أخرى مرينية..³

أ- المخطط العام للمدرسة:

شيدت المدرسة على أساس محورين رئيسيين احدهما شمالي شرقي /جنوبي غربي، أما الثاني فهو شمالي غربي/جنوبي شرقي يخرق محراب المصلى، و يحتل مساحة (21x9.5م).⁴

❖ المدخل:

¹ المقري:نفح الطيب، مصدر سابق ج6، ص 47.

² Duthoit : Rapport sur une mission scientifique en Algérie (, archives des missions scientifiques 1873, 3eme série), t1, p 325.

³ Golvin (L) :La madrasa médiévale ,edisud , 1995,p 2,3.

⁴ Koumasahmed et NafaCherazade :L'Algérie et son patrimoine, éditions du انظر: patrimoine. Paris 2003.p 92.

يدخل إلى صحنها من بابين كبير ينفي ضلعها الجنوبي الغربي و الشمالي الشرقي بطريقة متقابلة متناظرة و محورية مع بعضها و هذه ميزة لا تتوفر في باقي المدارس المرينية، و قد وضع لها الرسام Danjoy تصميم لإعادة ترميمها و ذلك في سنة 1873.

❖ الصحن:

أما الصحن فهو مستطيل تحيط به 7 أروقة من جهاته الأربع ، هذا ما يجعلنا نظن انه من الممكن انه وجد طابق أعلى لكن ليس لدينا أي معلومات في هذا السياق ، من الجهتين نجد قاعتين الطول اكبر من العرض و ضيقة يمكن أنهما استعملت بيوت إقامة الطلبة .

❖ بيت الصلاة:

يشغل بيت الصلاة المدرسة التاشفينية الجهة الجنوبية الشرقية حيث نجدها تتألف من ثلاثة أقسام ، و يعتبر الأوسط أكثر اتساعا وجاء مربع الشكل، تتراجع زواياه الأربعة و تنقلص لتحول في هانية المربع إلى مثنى حيث يجعلنا نضع افتراض و جود قبة و ذلك حسب التخطيط الذي وضعه المهندس Duthoit و قد غطيت القبة وفقا للتقاليد المغربية بهيكل بنائي جاء على شكل هرمي حيث تغطيه من الخارج قراميد لامعة و ملساء. تتميز بيت الصلاة المدرسة التاشفينية بعرض أكبر من العمق بمترين و نصف و مقسم إلى ثلاثة أجزاء بعقدين عموديين على القبلة ، و يتصدر الجزء المركزي المربع تجويفة المحراب على شكل مضلع بارز إلى الخارج يغطيه سقف خارجي منحدر هرمي قاعدته ثمانية تعتمد على دعائم ثلاثية الوجه ، بينما اتخذت القاعتان الجانبيتان شكلا مستطيلا يغطي كل منهما سقف منحدر قاعدته ثمانية غير منتظمة ، الشمالية الشرقية منها نسبة طولها 3/2 و الجنوبية الغربية يرجح انه كان يشغلها ضريح و كانت ترتفع مئذنته في زاوية المبنى . بنيت ميضأة المدرسة التاشفينية بالجهة الجنوبية الغربية و جاءت ملتصقة ببيت الصلاة ، وتتألف من هيكل بنائي ذو شكل مستطيل يتوسطه فناء يأخذ نفس الشكل ، يحيط به رواق يحتوي على بيوت الخلاء.

ويعتبر تخطيط المدرسة التاشفينية فريدا من نوعه، بحيث أن التكوين المعماري لبيت الصلاة الذي يتكون من أقسام ثلاثة تتصل ببعضها البعض بواسطة عقود كبيرة ، تتشابه بالعمارة الشرقية و خصوصا المدارس الشامية و من بينها مدرسة معرة النعمان 595هـ / 1199م، و السلطانية 620هـ - 1224م.¹

ب- الناحية الزخرفية:

¹ د/عبد العزيز لعرج: النظام المعماري لمدارس المغرب، المقال السابق، ص 97-112-113.

تميزت زخرفة المدرسة التاشفينية حسب مارسى بدقتها فقد تنوع بها التلبيس الخزفي الذي كان يُوَطر حنية المدخل الرئيسي و يحتوي الإطار الأول على زخارف هندسية عبارة عن أطباق نجمية ذات 12 راس كما كسيت بنيقة العقد بفسيفساء خزفية تتألف من أطباق نجمية مختلفة الأحجام فمنها ذات 16 رأس و أخرى اصغر منها ذات 8 رؤوس، و يحيط بالعقد شريط ذو شكل انسيابي ، كسيت الفراغات ما بين الفصوص بزخارف نباتية متشابكة تتفرع منها مراوح نخيلية.

كما وجدت أيضا خاصية فريدة من نوعها ، حيث زخرفت أرضية الصحن و القاعات بزخرفة نباتية و هندسية في أن واحد ، أما عتبة القاعة المقابلة لبيت الصلاة و كذا المساحة التي تصلنا إلى الصحن بزخرفة نباتية عبارة عن أشكال نجمية متصلة فيما بينها بمجموعة من الحلقات ذات اللون الأبيض. إن أرضية بيت الصلاة من المرجح أنها فقدت زخرفتها قبل أن تهدم المدرسة ، و لم يتبقى منه إلا زخرفة ذات عناصر نباتية متشابكة ، وجدت على عتبة المدخل (بيت الصلاة)، حيث يرى مارسى انه من الممكن أن تكون العتبة الوحيدة التي تميزت بهذه الزخرفة.¹

و لقد تقدمت المصلى فسقية ذات الشكل صديفي مصنوعة من المرمر، من خلالها كانت تتدفق المياه وقد تأطرت بزخرفة ضفيرية نباتية رقيقة ، حيث لم يكن لها نظيرا في المدارس المغربية ، إلا ما وجد في زاوية شلا قرب مدينة الرباط.²

لم يتبقى لنا من هذه المدرسة سوى لوحات من الفسيفساء بعضها محفوظ في متحف تلمسان و بعضها الآخر في المتحف الوطني للآثار القديمة ، تتألف هذه اللوحات من قطع خزفية صغيرة تتخذ أشكالا مختلفة ، تشكل بالقالب ثم تحرق حرقا أوليا بعد إتمام عملية التجفيف ، بعد ذلك تطلّى بأكاسيد تلوينية

و تحرق للمرة الثانية ، و في الأخير تجمع هذه القطع وفقا لتخطيط بارع و يصب عليها قدر من الملاط لدعمها و تثبيتها.³

هذه اللوحة قوام زخارفها تتمثل في مشبكات و أطباق نجمية وزخرفة نباتية عبارة عن أوراق نخيلية ، استعمل فيها اللون الأبيض و الأزرق و الأسود و الأخضر و البني.

¹ انظر: Marçais(G) : Remarques sur les medersas funéraires en berberie, p 276.

² جورج ماسي: مدن الفن الشهيرة ، ترجمة سعيد دحماني ، دار النشر النل 2004 ص55.

³ انظر: Bourouiba (R) : L'art religieux musulman p, 199.

من الصعب علينا الإحاطة بتفاصيل تخص هذه المؤسسة فيما يتعلق بإدارتها ، أو نظام تسييرها تربويا و عن طريقة التدريس بها و عن العلماء الذين درسوا بها و ذلك لاندثارها و اختفاء هياكل المدرسة ما عدا مخططها أو التصميم الهندسي و بعض رسومها الهندسية للبلاطات الخزفية التي كانت تكسو واجهات جدرانها ، و التي قام برسمها كما ذكرنا من قبل احد المهندسين الفرنسيين قبل هدمها.

بما أن السلطان أبو تاشفين كان يتمتع بمآثر ،الذي جعل التاشفينية تقوم برسالتها ، حيث كان ينزل منازل تليق بالعلماء و الأدباء و يغدق عليهم بالأموال.

فوصفه يحي ابن خلدون قائلاً: "لم يكن في معاصريه احد مثله علما بمذهب مالك و حفظا له و لأقوال أصحابه و عرفانا بنوازل الأحكام و صوابا في الفتية و قد نسب إليه المازوني في كتابه (الدرر الكامنة) مجموعة من النوازل."

ومن بين العلماء الذين استقبلهم و أكرم وفادتهم، أبو العباس بن عمر البجائي الذي قدم من بجاية "فانزله منزل الكرام ، و سأله عن مقدمه فاخبره بأنه جاء تاجرا ، فعرف به أبو زيد بن الإمام أمير المسلمين فرفع عنه تكلفة مغرمه ، و مغرم من جاء معه و كان مائتي دينار ثم أعطاه زيادة على ذلك مائتي دينار."¹

و مهما يكن الأمر فان التاشفينية ساهمت في تقدم الحركة الثقافية بتلمسان بدليل إيوائها للطلبة و احتضانها لحلقات العلم و ذلك لوجود صحن يحف به من ثلاث جهات -غير جهة المصلى - حجرات معدة لسكن الطلبة. فكان تصميمها مزدوج المعالم فهو عبارة عن مسجد مدرسي ، كما تتوفر المدرسة على منارة للأذان ، وهذا التنوع في التصميم جعل التاشفينية لها صفات منفردة بها عن باقي المؤسسات الأخرى.

3-3 المدرسة اليعقوبية:

¹ يحي بن خلدون: بغية الرواد، مصدر سابق، ص 15

بنيت المدرسة في حدود (763-765هـ/1361-1363م) على يد السلطان أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ) (1358-1388م) على ضريح والده يعقوب و عميه أبي سعيد عثمان و أبي ثابت، الذين توالوا حكم مدينة تلمسان في الفترة السابقة. تقع اليعقوبية بالقرب من المقبرة الزيانية التي تضم ضريح أبي يعقوب والد السلطان أبو حمو موسى الزياني. فاختيار موقع اليعقوبية لم يكن وليد صدفة بل خضع لاعتبارات أخرى و هي أن يضم هذا الفضاء أقدم المباني التي اندثر معظمها.¹

كان السلطان أبي حمو موسى الثاني ولوع بتشيد المباني من مساجد و مدارس حيث تم تأسيس هذه المدرسة مباشرة بعد دفن والده و قد دشت في صفر سنة 765هـ/1354م.²

ليست لدينا معطيات حول ظروف تأسيسها ، لكن الزيانيون كانوا يحتفلون عند تشيد المباني الكبرى ، فكان ينتقل السلطان رفقة العلماء و أعيان الدولة لتدشين المشروع و ذلك للأهمية التي يولونها لهذه الأعمال.

كما أكثر عليها الأوقاف و رتب فيها الجرايات و لقد كان الإمام أبو عبد الله الشريف التلمساني واحد من أكابر مدرسيها الذي قدم من فاس. و لقد اشتهرت باليعقوبية نسبة إلى والد السلطان أبي حمو موسى -أبي يعقوب- بعدما اكتملت عمارتها دعيت باليعقوبية ، كما أطلق عليها اسم "سيدي إبراهيم المصمودي" الذي توفي و دفن بها سنة 805هـ-1402م.

و ظلت المدرسة تعرف بهذا الاسم إلى يومنا هذا ومن سوء الحظ أن هذه المدرسة قد اندثرت كغيرها من المدارس.³

تضم اليعقوبية لائحة كبيرة من كبار العلماء الذين عرفوا داخل و خارج مدينة تلمسان بتدريس الفقه و العلوم الدينية إضافة إلى قربها من المسجد الجامع ، هذا ما جعل الطلبة ينتقلون بين المؤسسات بكل سهولة إلى جانب تنافس العلماء على التدريس بها.

فقد وصفها صاحب (زهرة البستان): "فأقيمت مدرسة مليحة البناء و واسعة الفناء بنيت بضروب من الصناعات ووضعت في أبداع الموضوعات ، سمكها بالا صبغة مرقوم ، وبساط أرضها

¹ د/صالح بن قرية: المرجع السابق، ص 150.

² يحيى ابن خلدون: مصدر سابق، ص 136.

³ د/صالح بن قرية: المرجع السابق، ص 152.

بالزليج مرسوم غرس بإزائها بساتين و....صنع فيها صهريجا مستطيلا و على طرفيه من الرخام خصتان يطردان مسيلا فيالها من بنية ما أبهجها".....

لقد ساهمت اليعقوبية في تنشيط الحركة الثقافية في تلمسان ، لإيوائها الطلبة ، و واحتضانها للحلقات العلمية ، التي كانت لا تتم بمعزل عن جامع تلمسان الذي كان بمثابة جامعة مثل القرويين بفاس و الزيتونة بتونس.

لم يمنع هذا التداخل بين المدارس و المساجد في تكوين و أعداد علماء و قضاة و خطباء الذين نشروا اللغة العربية و ساهموا في الحياة الفكرية ، إلى جانب تثبيت المذهب المالكي بالمغرب الأوسط.

ومن العلماء الذين درسوا الفقه احمد بن يحيى بن محمد عبد الواحد بن علي الونشريسي الذي تخرج عليه أمثال الفقيه ابن عباد ابن مليح اللمطي ، و الشيخ ابن زكريا السوسي.....

لكن بفعل التحولات التي عرفتها البلاد ، أصابت المدرسة نوعا من الفتور ، وجعلها عرضة للاندثار.¹

¹ د/صالح بن قربة: المرجع السابق ص 15.



خاتمة

خاتمة

وفي الختام نستخلص أن العمارة الدينية في تلمسان الزيانية خلال القرن (6-9هـ/12-15م) حيث أنها شهدت تطورا عمرانيا كبيرا فهي من بين الدول التي استطاعت أن تمد حكمها على أكبر جزء من الجزائر، ولقد غمرت الدولة الزيانية أزيد من ثلاثمائة سنة عرفت من خلالها أدوارها ترواحت بين القوة والضعف، حيث اعتلا عرشها ثلاثون ملكا كان جلها علماء أتقياء، واشتهر منهم مؤسس الدولة أبو يحيى يغمراسن بن زيان (633-681هـ) وأبو حمو موسى الثاني (760-761هـ).

تعتبر المساجد التلمسانية من أهم المساجد المعمارية للعمارة العربية الإسلامية لكونها لم تكن أماكن عبادة فقط وإنما اتخذت مراكز للعلم ومعاهد للدراسة، ومن بين هذه المساجد: مسجد الأعظم ومسجد أبي الحسن ومسجد الإمامة.

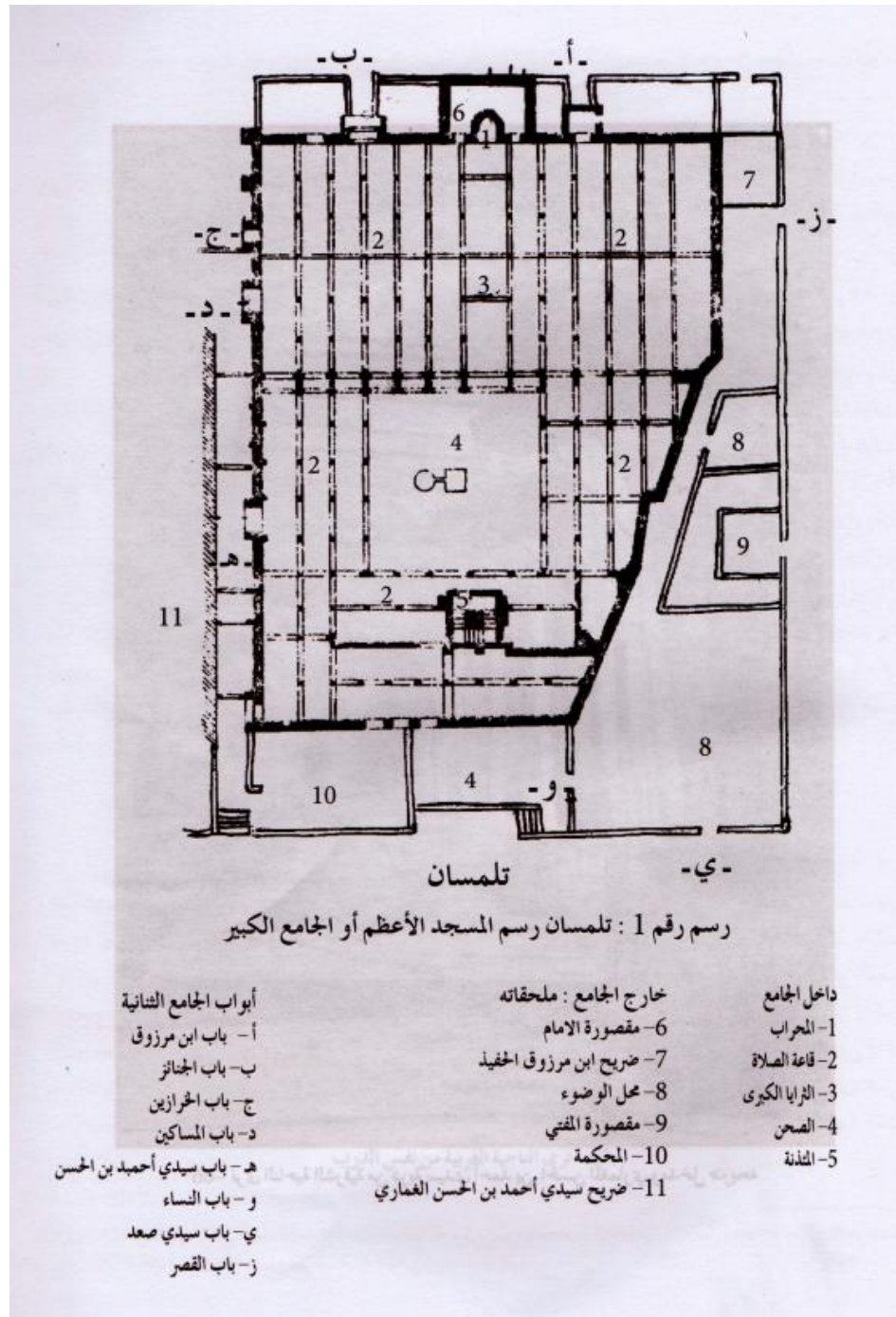
بالإضافة إلى المدارس الزيانية ومن أهمها التي أنشئت معظمها في موقع المدينة، حيث أنها تتميز بكثافة معمارية كما هو الشأن لمدرسة أولاد الإمام التي كانت تدعى بالمدرسة القديمة، الذي أسسها أبو موسى حمو الثاني بالمغرب الأوسط وذلك سنة (710 هـ 1310م)، والمدرسة التاشفينية حيث ساهمت في تقديم تصميم مزدوج المعالم فهو عبارة عن مسجد مدرسي كما تتوفر المدرسة على منارة للأذان وهذا النوع في التصميم جعل التاشفينية لها صفات منفردة به عن باقي المؤسسات الأخرى بالإضافة إلى المدرسة اليعقوبية.

وفي الأخير ندعو الهيئات الوصية بالاهتمام والمحافظة على التراث المعماري الديني وجعلها رمزا حضاريا معماريا وتوعية السكان بأهمية المباني المعمارية وتشجيع الدراسات والأبحاث المتعلقة بالعمارة الدينية الإسلامية.

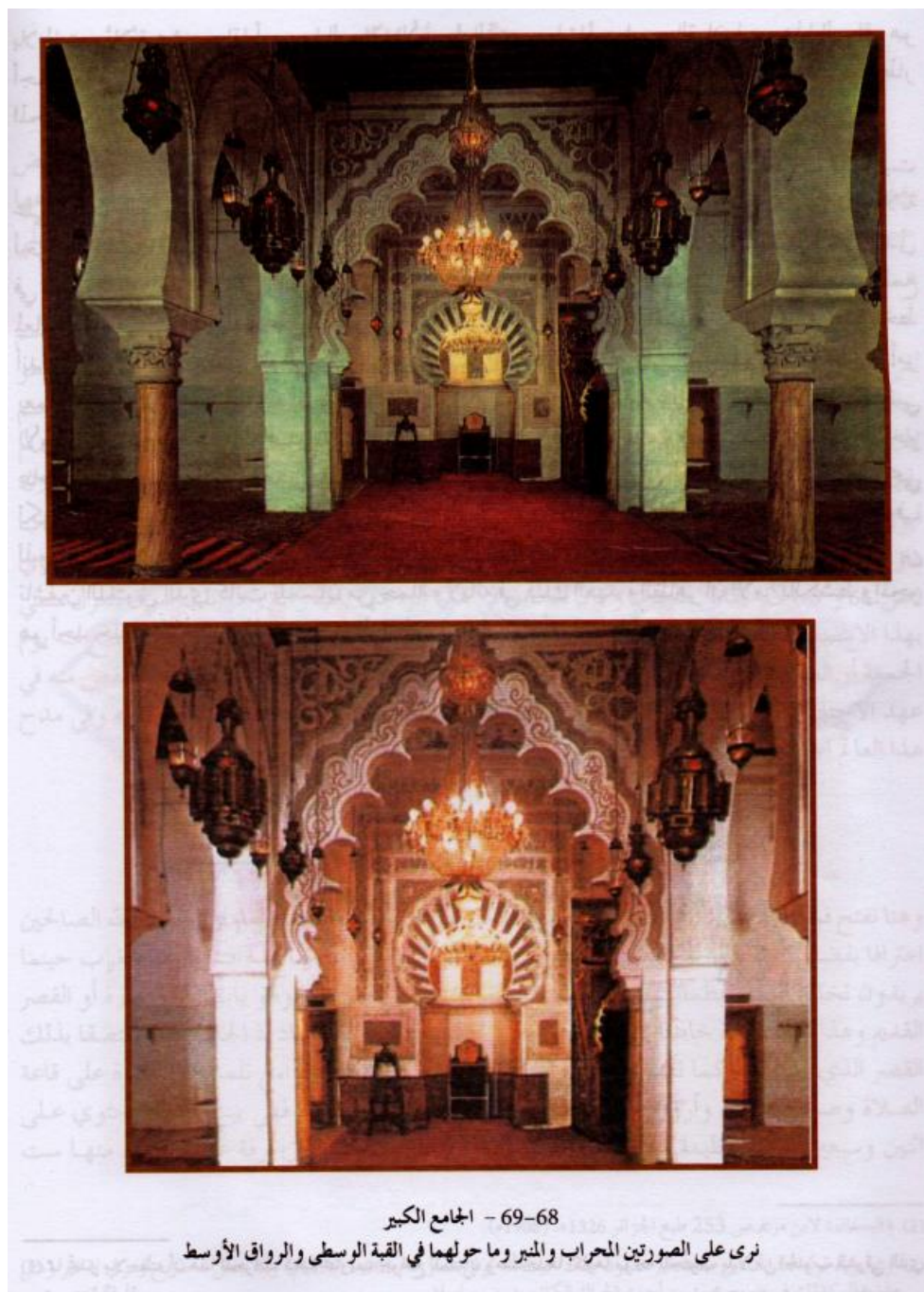
والشكر والحمد لله.

الملاحق

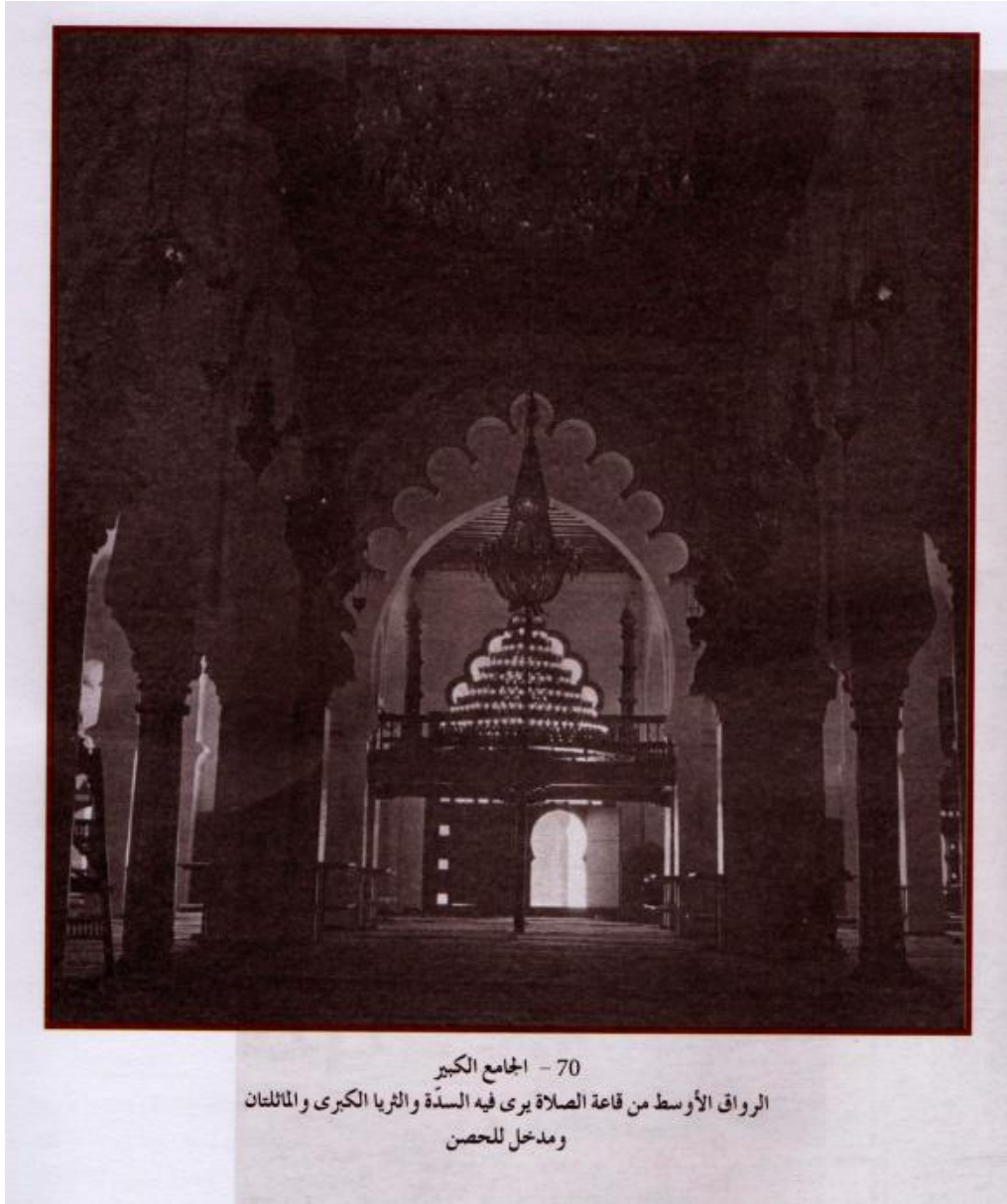
ملحق 01: 1



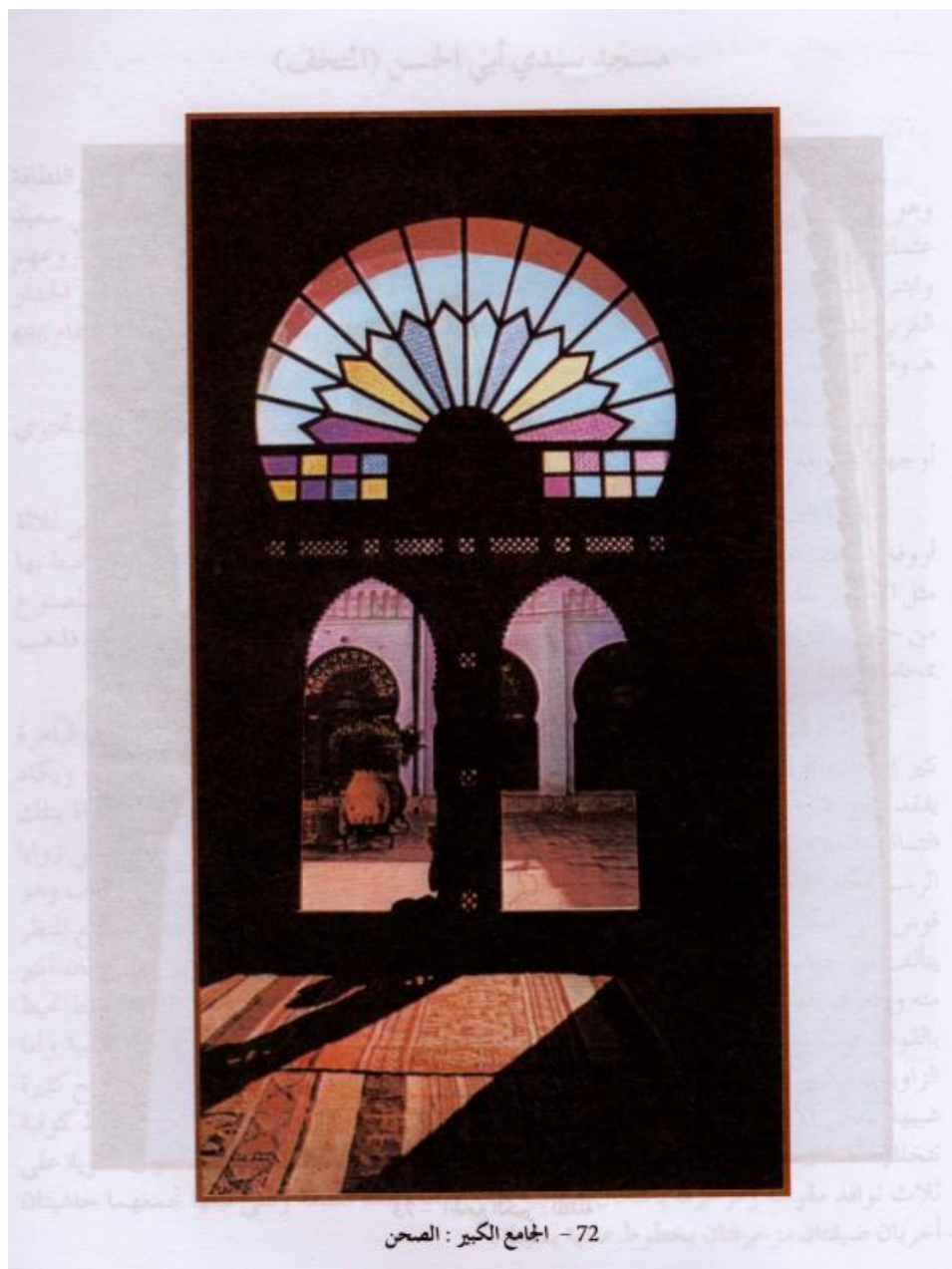
¹ محمد بن رمضان شاوش: مرجع سابق، ص 173.



1. محمد بن رمضان شلوش: مرجع سابق، ص 178.

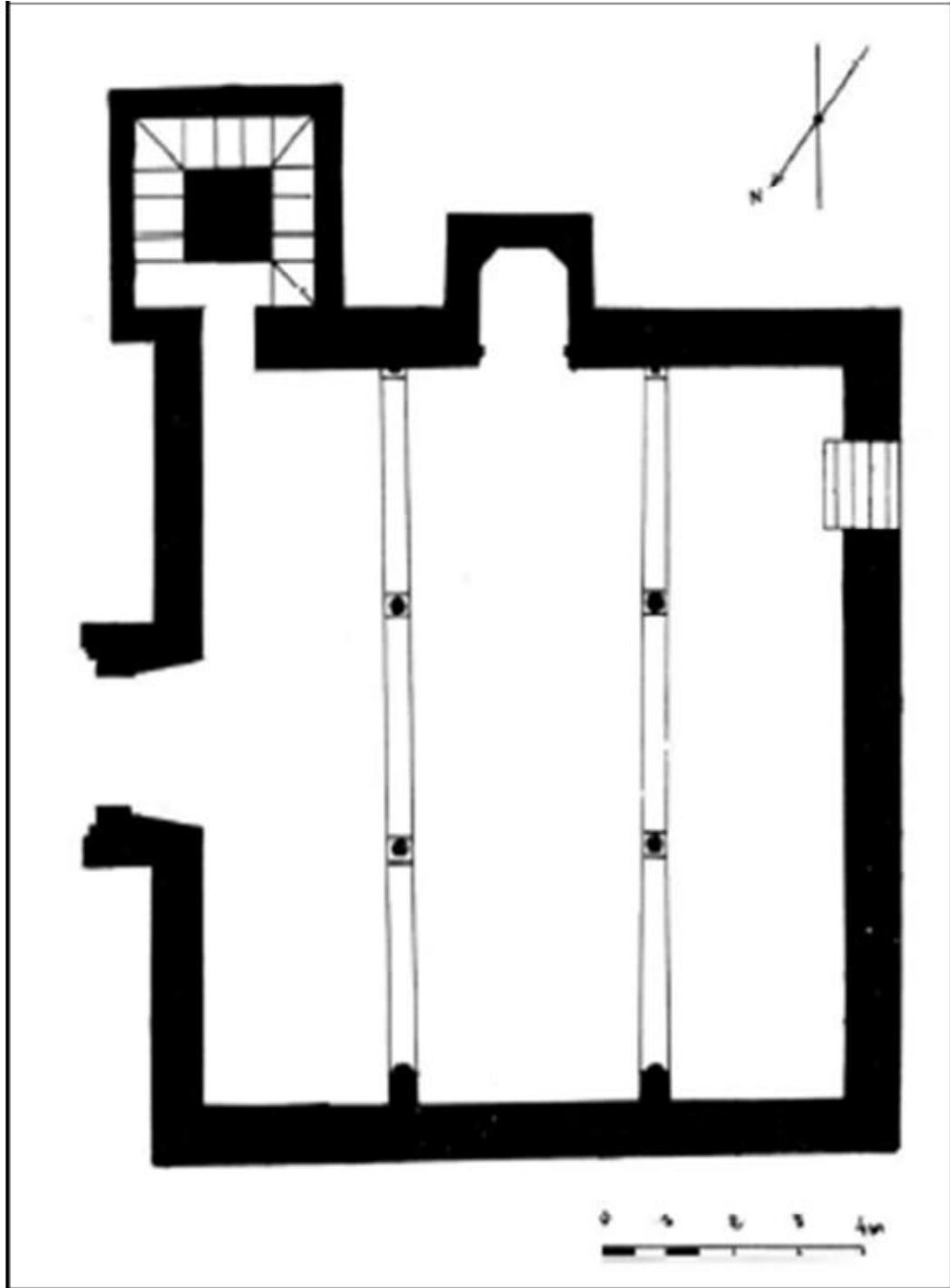


¹ محمد بن رمضان شواش: مرجع سابق، ص 179



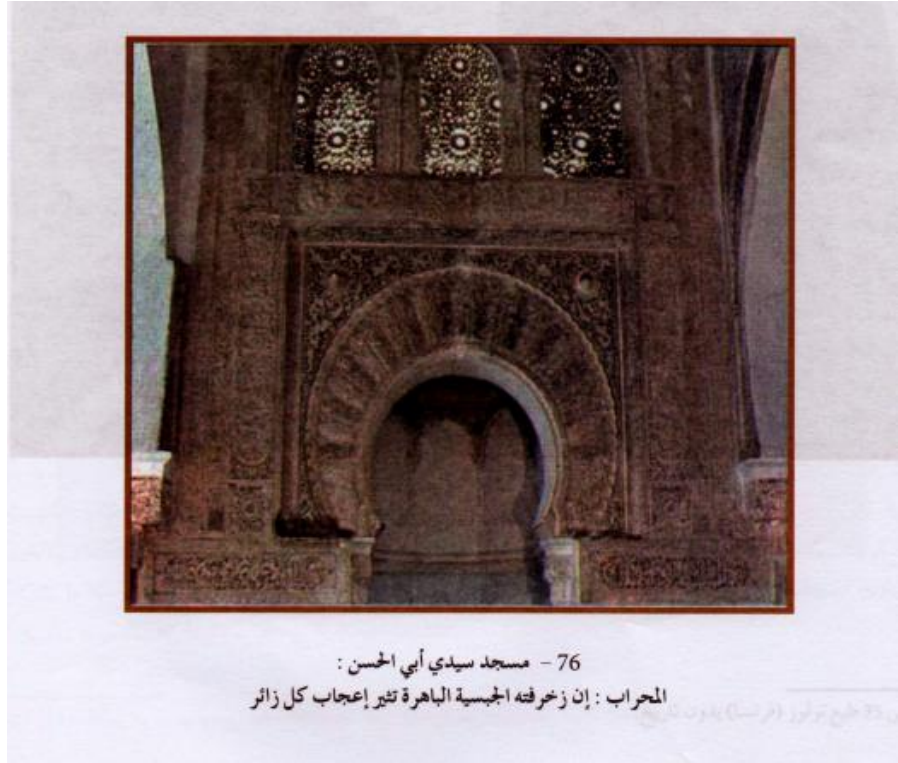
¹ محمد بن رمضان شلوش: مرجع سابق، ص180.

ملحق 05: مخطط مسجد سيدي ابي الحسن¹



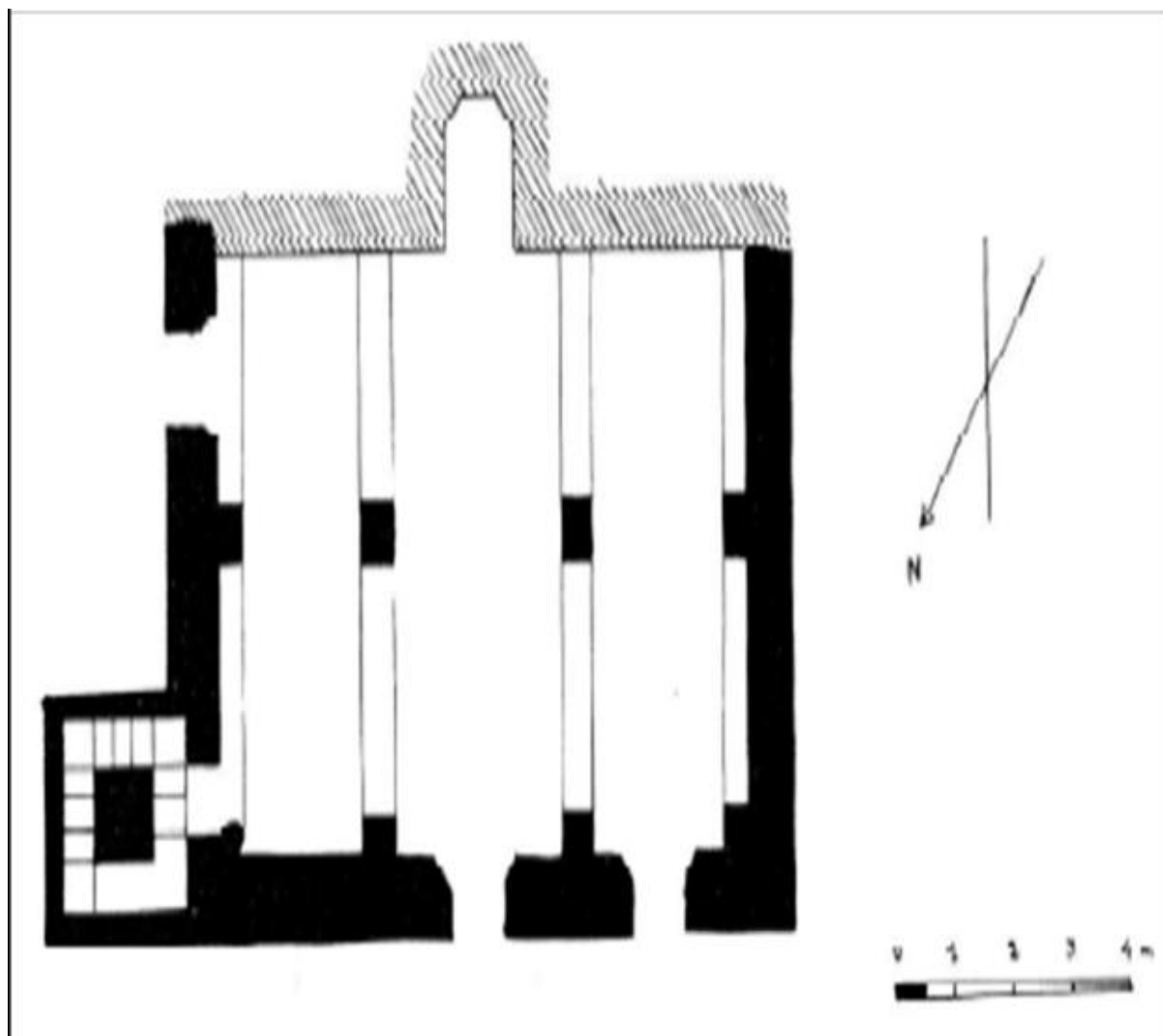
يمثل مخطط مسجد سيدي أبي الحسن¹

¹ - Rachid Bou Rouiba : L'art Religieux Musulman En Algérie, S.N.E.D, Alger, 1981.P19.



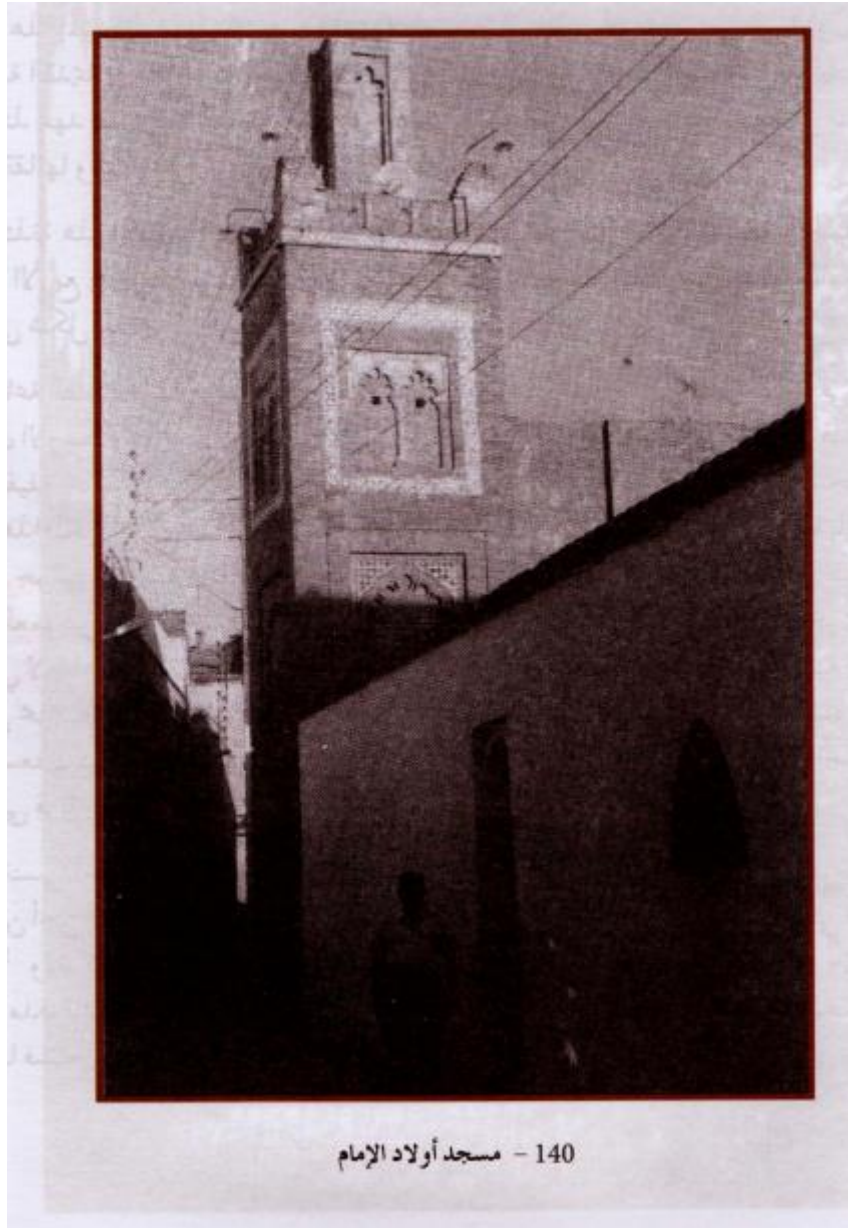
1 ..محمد بن رمضان شاوش: مرجع سابق، ص190.

ملحق 07: مخطط مسجد أولاد الإمام¹



يمثل مخطط مسجد أولاد الإمام¹

¹ achid Bou Rouiba : Camp, Op cit, p20.



1 ..محمد بن رمضان شاوش: مرجع سابق، ص197.

قائمة المصادر والمراجع :

1- باللغة العربية

أولاً: المصادر

- (1) القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
- (2) ابن خلدون ابو بكر يحيى :بغية الرواد في ذكر الملوك من بني الواد، ج1، تحقيق عبد حاجيات ،ب،ط،المكتبة الوطنية الجزائر 1980
- (3) ابن خلدون عبد الرحمان :المقدمة ،دار القلم ،بيروت ،ط3، 1981
- (4) ابن الاثير ابو الحسن علي عبد الواحد :الكامل في التاريخ ،ج13، دار صادر ،بيروت، ط6، 1900
- (5) ابن عبد الحكم ابو القاسم عبد الرحمان ،فتوح مصر واخبارها ،تحقيق .محمد الحجيري ،دار الفكر ،بيروت، ط1، 1996
- (6) ابن الاحمر :تاريخ الدولة الزيانية تحقيق ،هاني سلامة ،ط1، مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ، 2011
- (7) ابن مريم ابو عبدالله محمد ابن احمد :البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان ،المطبعة الثعالبية ،الجزائر ، 1908
- (8) الحميري محمد بن عبد الله المنعم ،الروض المعطار ،مكتبة لبنان ،بيروت، ب،ط، 1975
- (9) البكري ابو عبيدة :المغرب في ذكر بلاد افريقيا و المغرب ،دار الكتاب الاسلامي ،القاهرة ،ب،ط، ب،ت .
- (9) الادريسي ابو عبد الله محمد بن محمد المعروف بلشريف الادريسي :نزهة المشتاق في اختراق الافاق، جزاءن ، علم الكتاب ، بيروت ، ط1، 1989
- (10) الفاسي علي ابي زرع الفاسي :الانيس المطر بروض القرطاس في اخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس ،دار المنصور للطباعة ،الرباط ،ب،ط، 1972
- (11) الوزان حسن محمد الوزان الفاسي :وصف افريقيا جزاءن ، ترجمة محمد محي و محمد الاقصر ،دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ط2، 1982
- (12) المقري احمد بن محمد المقري : نفخ الطيب من غصن الاندلس ، 8 اجزاء ،دار الكتاب العربي ، بيروت ،ب،ط، ب،ت

13) بن الخطيب محمد بن ابي شنت : الاحاطة في اخبار غرناطة ، ج1، تحقيق محمد بن ابي شنت ،
المطبعة الثعالبية ، الجزائر ، 1908

14) محمد بن عبد الله التنسي : تاريخ بني زيان ملوك تلمسان ، مقتطف من نظم الدور و
العقبان في بيان شرق بني زيان ، تحقيق حمود بو عياد ، المؤسسة للكتاب ، الجزائر ، 1985
15) محمد ابن مرزوق الخطيب ، المجموع ، مخطوط ، الرباط، الجزائر العامة ، ميكرو فيلم ،
رقم 20

ثانيا: المراجع

1. أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1، شاعون، ن، ت 1981.
2. بلعربي خالد: الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، دراسة تاريخية وحضارية، الجزائر،
2011.
3. بن قرية صالح : تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر ، دار القصة
للنشر ، الجزائر، 2007م .
4. بوعزيز يحيى، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط في، منشورات وزارة الثقافة بالجزائر،
1985.
5. الجيلالي عبد الرحمن : التاريخ العام ، ج4 ، دار الثقافة ، بيروت . ط4. 1980م.
6. حسن احمد محمود: قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي ، القاهرة .
7. الدراجي بوزيان : نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية ، ديوان المطبوعات
الجامعية ، الجزائر 1993.
8. رشيد بورويبة واخرون: الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر
1984.
9. سالم عبد العزيز: تاريخ المغرب الإسلامي، دار النهضة العربية، بيروت 1981،
ج2.

10. طالو محي الدين: فنون الزخرفة المعمارية عبر مراحل التاريخ، ط1. دار دمشق، سوريا، 1999.
11. عبد الحميد حاجيات : أبو حمو موسى الزياني ، حياته وآثاره ، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982.
12. عبد الحميد مجد زغلول : تاريخ المغرب من الفتح الى بداية عصر الاستقلال ، منشأ المعارف ، الاسكندرية ، ب.ط. 1995 م.
13. عبدلي لخضري: التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد، ط1، دار النديم للنشر، 2011.
14. عروق عبد الكريم : تطور المآذن في الجزائر ، ط1، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، 2006،
15. فيلالي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية، موقع النشر، الجزائر، 2002، ج1.
16. مارسلي وليم و جورج : المعالم الاثرية العربية لمدينة تلمسان ، ترجمة مراد بلعيد و علي محمد بورويبة و فلة عبد مزيام ، ط1 ، الاصاله للنشر ، الجزائر ، 2011 م.
17. مالتسان ها يرتب في ت . ثلاث سنوات في شمال عربي افريقيا ترجمة ابو السعيد دور ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ب ، ط ، 1974 م.
18. محمد ابن إبراهيم ابن عبد الله الزركش: تاريخ الدولة الموحدية والحفصية، محمد ماهر، المكتبة العتيقة، تونس 1966.
19. الميللي مبارك محمد: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ب.ط.ب.ت.
20. ناصوري رشيد ، تاريخ المغرب الكبير العصور القديمة ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ب،ط، 1981 م.

الرسائل الجامعية :

1. بته مرزوق : الزخرفة العمائرية في عمارة المغرب الاوسط خلال الفترة (5 _ 8 هجريا / 11 _ 14 م) رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية معهد الآثار . جامعة الجزائر2.
2. بشاري لطيفة : التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين (13 - 16م) رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الجزائر ، الجزائر 1978 م.
3. محمد لخضر عولمي : الزخرفة المعماري في عهد المرينيين و الزيانيين ، د، رت.

موسوعات :

1. الفرديل : دائرة المعارف الاسلامية ، جزء 5، القاهرة ، ب.ط. 1933 م.

2- باللغة الأجنبية:

1. Koumasahmed et NafaCherazade :L'Algérie et son patrimoine، éditions du
2. Marcais(G) : Remarques sur les medersasfunéraires en berberie. patrimoine. Paris2003.
3. Rachid Bou Rouiba : L'art Religieux Musulman En Algérie، S.N.E.D، Alger، 1981.

فہرست الموضوعات

01.....	مقدمة
-الفصل التمهيدي	
8.....	1- اطار التاريخي و الجغرافي
12.....	ب. اقسام تلمسان و ارتباطها بالموقع الجغرافي
الفصل الأول : مراحل تطور الدولة الزيانية	
20.....	تمهيد
20.....	أولا : بنو عبد الواد (بنو زيان)
25.....	المبحث الأول: مرحلة النشأة
27.....	المبحث الثاني: مرحلة التوسع والازدهار
29.....	المبحث الثالث: مرحلة النهضة والتطور
الفصل الثاني: التكوين والانشاء العمراني لمدينة تلمسان	
34.....	تمهيد
34.....	المبحث الأول:المساجد
41.....	المبحث الثاني :الزوايا والرباطات
49.....	المبحث الثالث: المدارس
60.....	خاتمة
62.....	الملاحق
70.....	قائمة المصادر والمراجع
79.....	فهرس المحتويات